مختصر التجانية

دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة

تأليف

د. علي بن محمد آل دخيل الله

مدير معهد العلوم الإسلامية والعربية في أندونيسيا
والأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

مختصر التجانية

دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة

تأليف

د. علي بن محمد آل دخيل الله
مدير معهد العلوم الإسلامية والعربية في أندونيسيا
والأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِل له، ومن يُضْلِل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ﷺ.

وبعـد: فهذا مختصر لكتاب التِّجانيَّة: اقتصرت فيه على أهم المباحث بعد إلحاحٍ من عدد من المحبين الحريصين على نشر الخير وتوزيعه لتسهُل قراءته وتداوله بين عموم القرّاء، سائلاً اللهَ تعالى أن ينفَع به من قرأه، وأن يُعْظِم الأجر لمن كتبه أو سعى في نشره وتوزيعه، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه، إنه نِعْمَ المولى ونِعْمَ المجيب.

علي بن محمد آل دخيل الله

٢١/ ١/ ١٤٢١هـ

التعريف بالتِّجاني والتِّجانية

تنسب الطريقة التجانيَّـة إلى التجاني، واسمه: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التجاني[1] المضاوي.

والتجاني نسبة إلى (بني توجين) أصحاب (تاهرت)[2] و(تاكدمت) من البربر، إخوان بني زبيان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الأقصى، وبنو توجين أخوال أحمد التجاني، ولما طال مقامه بينهم نسب إليهم[3]. والمضاوي نسبة إلى حصن (عين ماضي)[4].

وتذكر كتب التجانيَّـة أنّ نسبه ينتهي إلى محمد الملقب بالنفس الزكية[5]، وأنّ ذلك ثابت لدى الآباء والأجداد، إلا أنّه لم يكتف بذلك، فزعم أنّه سأل النبي ﷺ يقظة عن نسبه، فأجابه أن نسبك إلى الحسن بن علي صحيح[6]. فلم يثبت نسبه

---

(١) ولفظ (التجاني) بكسر المثناة مشددة وبالجيم المشددة أيضاً، وقد تخفف، كذا ضبطه بعضهم. «حلية البشر» (١/ ٣٠٣) ط دمشق «بغية المستفيد».

(٢) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، إحداهما تاهرت القديمة، والأخرى تاهرت المحدثة. وهي كثيرة الضباب والأمطار. «معجم البلدان» (٢/ ٧) دار صادر بيروت. و (تاكدمت) مدينة في المغرب.

(٣) «تحفة الزائر في تاريخ الجزائر» (١/ ٣٠٣) الطبعة الثانية، «بغية المستفيد» (١٣٧).

(٤) وهي قرية معروفة من قرى الصحراء الشرقية من بلاد المغرب، وهي الآن تقع في الجزائر. «بغية المستفيد» (١٣٧).

(٥) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ وقتل بالمدينة سنة ١٤٥هـ. وهم يزعمون أنه من أولاد الحسن، وأن نسبه ينتهي إلى محمد الملقب بالنفس الزكية، ومحمد هذا من أولاد الحسين، لا من أولاد الحسن كما ترى في ترجمته المنقولة عن الأعلام. »الأعلام« (٧/ ٩٠).

(٦) «جواهر المعاني» (١/ ٣٠، ٣١).

بطرق علمية صحيحة، وإنما يدعي ومثل هذا الادعاء لا تقوم به حجة.

وولد أحمد التجاني في سنة ١١٥٠هـ-١٧٣٧م بقرية (عين ماضي)[١]، وفيها نشأ وترعرع، ويقال إنه حفظ القرآن في صغره في سبعة أعوام[٢] على يد الشيخ محمد التجاني[٣]. ثم اشتغل بعد ذلك بطلب العلوم الشرعية والأدبية، فقرأ «مختصر خليل»، و «الرسالة»، و«مقدمة ابن رشد»، و«الأخضري» على يد الشيخ المبروك ابن بعافيه المضاوي التجاني[٤].

ثمّ مال إلى التصوف، وكان لرحلاته الكثيرة أثر في سلوكه هذا الطريق، حيث التقى في رحلته إلى فاس وفي رحلته إلى الحج بكثير من أرباب هذا الشأن، وأخذ عنهم طرقهم في السلوك والتصوف، إلى أن استقل أخيراً بطريقته الخاصة التي عرفت فيما بعد بالتِّجانيَّـة نسبة إليه.

وتـوفي يـوم الخميس السابع عشر من شوال سنة ١٢٣٠هـ-١٨١٥م، وكان عمره ثمانين سنة[٥].

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ٢٦، ٢٧) «الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى» (٨/ ٨٣، ٨٤)، «حليـة البشــر» (١/ ٣٠٣، ٣٠٤)، «الأعــلام» (١/ ٢٣٢) ط الثالثة، «السيف المسلول» (٢٠٥).

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ٢٦، ٢٧).

(٣) هو محمد بن حمو التجاني المتوفى سنة ١١٦٢هـ. «جواهر المعاني» (١/ ٢٧).

(٤) هو الطيب بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليملحي العلمي، توفي سنة ١١٨٠هـ ودفن في (وزان) من بلاد الهبط من مهودة. «جواهر المعاني» (١/ ٤٣).

(٥) «بغية المستفيد» (١٩٩)، «كشف الحجاب» (١٩)، «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» (١/ ٥٩، ٦١)، «شجرة النور الزكية» (١/ ٣٧٨، ٣٧٩)، «الأعلام» (١/ ٢٣٢) ط الثالثة، «الاستقصاء» (٨/ ١٢٩، ١٣٠).

الحالة السياسية والعلمية في عصره:

تميز العصر الذي وجد فيه التجاني بكثرة الاضطرابات السياسية والثورات الداخلية، فقد عاش نهاية الدولة العثمانية[1]، حينما تكالبت عليها دول أوربا المستَعْمِرة، وحينما انتشرت في البلاد الإسلامية كثير من الثورات ضد دولة الخلافة؛ نتيجة لما تعانيه هذه الشعوب في نهاية حكم الأتراك من سوء الإدارة السياسية والأحوال المعيشية، فكانت الجزائر في ذلك الوقت مسرحاً لكثير من الأحداث السياسية في الداخل ومن الخارج.

أما الحركة العلمية فقد كانت تعيش عصر الاحتضار، إذ كانت مراكز التعليم في ذلك الوقت ضئيلة محدودة لدى أفراد، وفي أماكن تعد على الأصابع، وكان التعليم مقتصراً على بعض الدروس لتعليم القرآن الكريم وبعض شروح الكتب الفقهية.

كما أصبح التصوف دروشة وتمسحاً بالقبور والمزارات، ونشراً للبدع والخرافات، فشاع الجهل، وعمت الخرافة.

أما حركة التأليف فقد اقتصرت على بعض الشروح والحواشي الفقهية والعقدية، وكان يغلب على التأليف التقليد الأعمى، مع ضعف الأسلوب، وركاكة الألفاظ، قد دخلت المؤلفات بعض الألفاظ العامية والملحونة. وكان الأدب مقصوراً على بعض المدائح النبوية، والمقطوعات الصوفية، ومرثيات العلماء.

في مثل هذا العصر ولد ونشأ أحمد التجاني، فلم يكن غريباً أن تنتشر طريقته ذلك الانتشار الواسع، ففي مثل هذه الأجواء تتنفس البدع، وتعيش الخرافة.

---

(١) استمر حكم الدولة التركية للجزائر حتى سنة ١٢٤٦هـ، وقد توفي التجاني سنة ١٢٣٠هـ. «التحفة المرضية في الدولة البكداشية» (ص ١٤) ط أولى.

أهم آثاره:

من أهم الآثار التي خلفها التجاني في زاويته المشهورة بفاس، والتي ظلت مركزاً للتجانيَّة يتوافدون عليها من شتى أنحاء العالم، ومكاناً لتجديد هذه الفكرة وبثها في قلوب الناس. وهذه الزاوية عبارة عن مكان يشبه المسجد، وعندما تدخل من الباب الخارجي، يكون عن يمينك السقاية، وعن يسارك خزانة صغيرة ذات طبقات ثلاث مملوءة بكراريس، وهي إلى الآن ما زالت مقفلة، ويزعمون أنها لا تفتح إلا على يد المهدي المنتظر[١].

وفي وسط الزاوية قبر التجاني، وبينه وبين السقاية حاجز، ويزعمون أنّ من مزاياها أنّ الصلاة مقبولة بها قطعاً[٢]، وأنَّ من يدفن فيها تأكله النار لامحالة[٣].

كما أن من أهم آثاره كتاب «جواهر المعاني» الذي جمعه تلميذه وخليفته علي حرازم، والذي يعتبر المرجع الأول للتجانيَّة، حتى أنهم يزعمون أنّ النبي ﷺ قال فيه: «كتابي هذا وأنا ألفته»[٤].

وقد ذكر الشيخ عبدالحي الكتاني شيخ الطريقة الكتانية أنّ الجزء الأول من كتاب «جواهر المعاني» منقول عن كتاب «المقصد الأحمد»[٥]، وأنّ التجاني نقله عن هذا الكتاب ونسبه لنفسه.

وبمقابلة الكتابين تبين لي أنّ الجزء الأول من كتاب «الجواهر» لم ينقل نصاً من

---

(١) «جناية المنتسب العاني» (٢/ ٥٦) تأليف أحمد سكيرج.

(٢) «كشف الحجاب» (٢١).

(٣) «كشف الحجاب» (٢٤).

(٤) «بغية المستفيد» (١٨٣).

(٥) هذا الكتاب مكتوب بخط مغربي وهو مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة ١٣٥١هـ.

المقصد الأحمد بكامله، وإنما نقل منه في بعض المواضع باللفظ، وفي بعضها بالمعنى. كما أنّ فيه صفحات كثيرة لم ينقل منها شيئاً، فقد نقل خطبة الكتاب وبعض الصفحات نصاً، ولم يعزها إلى قائلها. كما أنّ عناوين الأبواب وترتيبها متطابقة في الكتابين، إلا أنّ مؤلف الجواهر قد أجمل في ستة أبواب ما ذكره مؤلف المقصد في تسعة، فمؤلف «الجواهر» قد استفاد كثيراً من كتاب «المقصد» ولم ينقله بكامله.

نشأة الطريقة التِّجانيَّـة وأسباب انتشارها وتاريخها:

سبق أن ذكرنا في ترجمة أحمد التجاني أنه التقى بعدد من مشايخ الصوفية وأخذ عنهم عدة طرق، ولكنه لم يلبث أن تركها جميعاً، وبدا له أن ينشىء طريقة جديدة يستقل بها عمن سبقه، فكان ذلك ما حصل عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمعون.

قال في «جواهر المعاني»: «... ثم رجع إلى قرية أبي سمعون وأقام بها واستوطن، وفيها وقع له الفتح، وأذن له ﷺ في تلقين الخلق، وعيَّن له الورد الذي يلقنه في سنة ١١٩٦هـ، وعيَّن له ﷺ الاستغفار والصلاة عليه ﷺ، وهذا هو الورد في تلك المدة إلى رأس المائة كمل الورد ﷺ بكلمة الإخلاص...»[١].

وهكذا يزعم بأن النبي ﷺ هو الذي أنشأ هذه الطريقة بناءً على مذهبه الباطل في أنّه يرى النبي ﷺ، وأنّه يخاطبه ويكلمه، وسيأتي بطلان ذلك إن شاء الله.

والحق أنها من وحي الشيطان، لا من وحي الرحمن: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[٢].

فهذه أول نشأتها، ثمّ انتشرت بعد ذلك على يد الأتباع، حتى شملت الجزء

(١) «جواهر المعاني» (١/ ٥١).

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

الأكبر من غرب إفريقيا وشمالها، وهي الآن تتركز في غرب إفريقيا في السنغال ونيجيريا وموريتانيا والمغرب، كما توجد في نواحي أخرى من العالم كمصر وبعض الدول العربية.

أما أسباب نشأة التِّجانيَّـة وانتشارها، فهـي:

١- أنّ التجاني عاش في عصر قل فيه العلم وعمّ الجهل، وكثرت فيه الاضطرابات، فكان لجهل الناس في عصره وبعدهم عن شريعة الله أثر كبير في نشأتها.

٢- قلّة العلماء المخلصين في وقته وفي بيئته، إذ لو وجدوا لما وجدت هذه البدعة وأمثالها متنفساً.

٣- حب التجاني للشهرة والجاه، واتباعه لهواها وللمتشابه من الآيات والأحاديث، مما دعاه إلى انتحال هذه النحلة الباطلة.

٤- مساندة الأمير سليمان أمير المغرب في وقته وحمايته له[١].

٥- ومن أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها كثرة ما فيها من الثواب المزعوم وضمان الجنة بأيسر الأسباب، وخصوصاً عند العامة والجهال الذين لا يفرقون بين الحق والباطل.

تاريخ التِّجانيَّـة في الجزائر:

قدم التجانيون في الجزائر والمغرب خدمات جليلة للفرنسيين، وقد كافأهم الفرنسيون على هذه الخدمات بالمال والجاه والنفوذ، يقول روم لاندو في كتابه «تاريخ المغرب في القرن العشرين»: «وقد خبر الفرنسيون قضية الطرق الصوفية،

---

(١) «كشف الحجاب» (٢١).

والدور الذي تلعبه مرات متعددة من قبل، وثمت وثيقتان قلما يعرفهما الناس تزودنا بالمعلومات الطريفة، أولاهما رسالة بعث بها قبل قرن من الزمن المارشال بوجو أول حاكم للجزائر إلى شيخ الطريقة التجانيَّـة ذات النفوذ الواسع، إذ أنه لولا موقفها المشيع بالعطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتتحة حديثاً أصعب بكثير مما كان. ويقول المارشال في نهاية الرسالة: عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما، أو إلى خدمة من أي نوع كانت، فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتـك»[1].

ثم قال روم لاندو: «ووثيقتنا الثانية تلقي ضوءاً على طريقة الإقناع إنها إعلان بعث به خليفة التجاني الذي تلقى رسالة المارشال بوجو إلى أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبدالكريم سنة ١٩٢٥م يدعو فيه إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين. ويقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الإعلان: إنّ فرنسا تكافئ على الخدمات التي تقدم لها، وفرنسا قد انتصرت مؤخراً في حرب ١٩١٤م-١٩١٩م على واحدة من أعظم دول أوروبا وأقواها. ألا ينصر سبحانه، ويمنح عباده من يشاء»[2].

ويقول بول أودينو: «خلال السنين الستين الأخيرة، كانت التِّجانيَّـة تقدم لنا العون، ومنذ سنة ١٩١١م ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي المغرب وموريتانيا والريف»[3].

ومن هذه النصوص يتبين كيف تمكنت فرنسا من قلوب مشايخ الطريقة التِّجانيَّـة في الجزائر، فقدموا لها في سنوات ما لا تستطيع الجيوش أن تقدمه في

---

(١) «تاريخ المغرب في القرن العشرين» (ص ١٤٠) دار الثقافة.
(٢) «تاريخ المغرب في القرن العشرين» (ص ١٤١) دار الثقافة.
(٣) المرجع السابق، (ص ١٤٣).

قرون، وبهذا تدرك سر تمكن الاستعمار الفرنسي في الجزائر والشمال الإفريقي مدة طويلة من الزمن، كما تدرك سر خطورة انحراف المسلمين عن منهج الإسلام الصحيح، وكيف يجرهذا الانحراف على الأمة النكبات والويلات، نسأل الله أن يعصمنا من الزلل.

تاريخ التِّجانيَّـة في السودان الغربي (السنغال وما حولها):

كان للحاج عمر الفوتي السنغالي[1] جهود طيبة في مقاومة الوثنيين والفرنسيين في السودان الغربي، فقد بدأ حملة واسعة لنشر الإسلام بين الوثنيين، فصار له كثير من الأتباع. ثم حمل راية الجهاد ضد الوثنيين والفرنسيين في تلك البلاد، وما زال في محاربة أعداء الله حتى توفي سنة ١٢٨٢هـ تقريباً، بعد أن خلف دولة أصبحت بعد خطراً كبيراً على الاستعمار[2].

قال لوثروب ستودارد في كتابه «حاضر العالم الإسلامي» بعد أن تحدث عن جهاد الحاج عمر في السنغال: «فصار وجود هذه السلطة التِّجانيَّـة في وسط السودان خطراً عظيماً على سيادتنا»[3].

ومما سبق يتبين لنا في موقف التِّجانيّة من الاستعمار، فهي في الجزائر تقدم لهم الولاء، وفي السنغال تحمل في وجوههم السلاح. وقد أدرك هذا التناقض المسيو أندري راسين، فقال مستغرباً: «... وأشهر من شهرها في السودان الحاج عمر، ومن

---

(١) انظر ترجمته (ص ١٤).

(٢) «حاضر العالم الإسلامي» (٣/ ٤٩) ط الرابعة، دار الفكر، مجلة الأزهر السنة ٢٩، الجزء الأول (ص ١١)، «صفوة الاعتبار» محمد بيرم التونسي (١/ ٧٢) دار صادر، دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ٤٣٢، ٤٣٣) طبع مصر سنة ١٣٥٢هـ، كتاب «الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانيَّـة» (ص ٣) وما بعدها.

(٣) «حاضر العالم الإسلامي» (٢/ ٣٩٦، ٣٩٨).

الغريب أنها في الجزائر تنصح بالموالاة للفرنسيين، وفي السودان[1] ترفع راية الجهاد»[2].

فما السبب في هذا الاختلاف؟

يرجع هذا الاختلاف -في رأيي- إلى الأسباب التالية:

١- اختلاف المشارب، فدراسة الحاج عمر الفوتي في الأزهر، وإقامته في مصر مدة من الزمن كان لهما أثر كبير في توجيه حياته، مما جعله يكره الاستعمار والمستعمرين ويقاومهم، وإن كان متعصباً للتِّجانيَّـة، ومبرراً لكثير من عقائدهم المنحرفة، كما هو واضح في كتابه «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم».

٢- الحرص على المال والنفوذ والشهرة حمل التجانيين في الجزائر على موالاة الفرنسيين، وتقديم الخدمات لها، وهذا ما صرح به التجانيون أنفسهم، وكما هو واضح من رسالة المارشال بوجو إلى شيخ التِّجانيَّـة.

٣- كما يجب ألا ننسى في هذا المقام معتقدهم في محبة الكفار[3]، فلعل لمثل هذا المعتقد أثر كبير في موالاة فرنسا والمستعمرين.

---

(١) أي السودان الغربي (السنغال وما حولها)، لا السودان المعروف.

(٢) «حاضر العالم الإسلامي» (٣/ ٤٦) ط الرابعة.

(٣) انظر: «مبحث إيمانهم بوحدة الوجود» (ص ١٦) وما بعدها.

في تراجم أشهر التِّجانيين

١- علي حـرازم: هو أبو الحسن الحاج علي بن العربي المغربي الفاسي، ويعتبر أكبر خلفاء الشيخ التِّجاني في رسالة بعثها إلى أهل تلمسان: «... وهو عوض عن نفسي وخليفتي، وقد أقمته مقام نفسي في تلقين أورادي وإعطاء طريقتي، وكذا علومي وما انطوت عليه حقيقتي، فهو مني وأنا منه»[(١)].

ولما اشتدّ عوده وخشي التجاني أن ينافسه المنصب، أمره بالتوجه إلى الحجاز، وبعد أن وصل إلى الحجاز، كان كثيراً ما يراسل شيخه يطلب منه قضاء بعض الأمور التي تهمه. وتوفي علي حرازم في المدينة سنة ١٢١٧هـ[(٢)]، وقد قيل في قصة وفاته أنه وقعت له غيبة، فتخيَّل أصحابه أنّه توفي، فدفنوه حيّاً، ومكث في قبره سبعة أيام ثمّ توفي بعد ذلك[(٣)].

٢- محمد بن المشرى: هو محمد بن المشرى الحسني السايحي السباعي أصلاً التقرّتي[(٤)]، وكان أول اجتماعه بالتجاني سنة ١١٨٨هـ، وقد لقنه التجاني الطريقة الخلوتية قبل أن يبتدع طريقته الجديدة، وقد اتخذه التجاني إماماً في الصلاة حتى سنة ١٢٠٨هـ. ولما نبغ محمد بن المشرى، خشي التجاني أن ينافسه مشيخة الطريقة، فأمره بالخروج إلى الصحراء[(٥)]، كما فعل مع نظيره السابق علي حرازم.

---

(١) «الله ذاتاً وموضوعاً» عبدالكريم الخطيب (ص ٢١٩) الطبعة الثانية.

(٢) «الإفادة الأحمدية» (١٥).

(٣) «كشف الحجاب» (٦٨-٩٥)، «بغية المستفيد» (٢٥٥)، «الدرر الخريدة» (١/ ١١١)، «غاية الأماني» (٢).

(٤) نسبة إلى (تقرت) بلدة في الجزائر من عمل أقسطنية.

(٥) «الإفادة الأحمدية» (٦٩)، «كشف الحجاب» (٦٥٣).

وتوفي المشرى بعين ماضي ناحية الصحراء سنة ١٢٢٤هـ. ومن أهم مؤلفاته:

١- كتاب «الجامع لما افترق من العلوم».

٢- كتاب «نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء»[١].

٣- عمر الفوتي: هو عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي الأزهري التجاني، ولد سنة ١٧٩٧ في قرية الفار من بلاد (ديمار)[٢]، وحفظ القرآن على والده سعيد بن عثمان. وفي سنة ١٢٣٦هـ حج إلى مكة وزار المدينة النبويَّـة[٣]، وقرأ مدّة في الأزهر، وذلك حتى سنة ١٧٩٧هـ.

وبعدما رجع من مصر إلى بورنو، بدأ حملة لنشر الإسلام بين الوثنيين هناك. ثمّ ذهب إلى بلاد (الهاوسة)، ثم كوَّن جيشاً صغيراً، وأثار جميع مسلمي بلاد (غابون)، وهزم البامبارة الوثنيين شرّ هزيمة في (تومبا)، واستولى بعدها على (كونيا كاري).

وفي سنة ١٢٧١هـ-١٨٥٤م جعل مقرّه العام في (نيورو) شمال السنغال، ثمّ استولى على مملكة (سيغو)، وعلى بلاد (ماسينه)[٤]. وفي عام ١٢٧٨هـ-١٨٦١م استولى على مدينة (بمبرة)، وفي عام ١٢٧٩هـ التقى بجيش أحمد بن أحمد، وهو مسلم موال للفرنسيين، فهزمه شرّ هزيمة.

وبعدما قدم (الباكاي) من بلاد شنقيط، انضم إليه أتباع الأمير أحمد بن أحمد وبقايا الوثنيين، وحاصروا الشيخ عمر في مدينة (تمبكتو)، فاضطر إلى الاعتصام

---

(١) «كشف الحجاب» (١٤٩-١٥٣)، «بغية المستفيد» (٢٥٦)، «الدرر الخريدة» (١١٢)، «الإفادة الأحمدية» (٦٩)، «غاية الأماني» (١٦).

(٢) منطقة في قطر السنغال على الضفة اليسرى من النهر بين (والو) من الغرب و(تورو) من الشرق. «حاضر العالم الإسلامي» (٢/ ٣٩٧).

(٣) «دائرة المعارف الإسلامية» (٥/ ٤٣٢، ٤٣٣).

(٤) «حاضر العالم الإسلامي» (٢/ ٣٩٧).

بمغارة، فأطلقوا عليه الدخان حتى اختنق عام ١٢٨١هـ-١٨٦٤م[١]، وقيل إنّه قتل بالغم لما أيس من الحرب، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٨٣هـ، وقيل: إنّه توفي سنة ١٢٨٢هـ وعمره ٧٠ سنة[٢]. وقد خلفه على قيادة هذه الحركة اثنان من أتباعه، أحدهما ابن أخيه، واستمر حتى احتلال الفرنسيين (تمبكتو) في ٣ رجب سنة ١٣١١هـ-١٠ يناير سنة ١٨٩٤م[٣].

ومن مؤلفاته:

١- كتاب «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم».

٢- كتاب «سيوف السعيد».

٣- كتاب «سفينة السعادة».

٤- الفزاري «القصائد العشرينات» تخميس لها[٤].

٤- **أحمد سكيرج**: هو أحمد سكيرج العياشي، ولد بفاس في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٥هـ، وقرأ القرآن على الفقيه محمد بن الهاشمي الكتامي. وفي سنة ١٣٠٩هـ التحق مع أخيه محمد بدروس العلم بمسجد القرويين بفاس، وأخذ عن إدريس عمور الفاسي، وأخذ الحديث عن عبدالله بن إدريس البكراوي، وأخذ الإذن بالأوراد اللازمة عن محمد قنون بمحراب زاوية التجاني.

وفي سنة ١٣١٦هـ اجتمع بأحمد العبد لاوى، وقرأ عليه «المشاهد» لعلي حرازم، و«الجامع» لمحمد بن المشرى. كما قرأ الفتوحات المكيّة والإنسان الكامل

---

(١) «دائرة المعارف الإسلامية» (٥/ ٤٣٢-٤٣٣)، «صفوة الاعتبار» (١/ ٧٢).

(٢) «مجلة الأزهر» (مجلد ٢٩) (١/ ١١، ١٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) كتاب «عمر الفوتي» (ص ٧) نقلاً عن كتاب «الإسلام في غرب إفريقيا» للقس ترمنجهام.

على شيخه عبدالكريم بنيس، وفي عام ١٣١٨هـ درَّس بالقرويين.

وفي عام ١٣٢٥هـ سافر إلى مكناسة وألَّف في ذلك (الزيدانية). وفي سنة ١٣٢٨هـ قام بزيارة طنجة. وفي سنة ١٣٢٩هـ استدعاه الحبيب بن عبدالملك إلى وهران فسافر إليه، ثمّ عاد إلى فاس، وألَّف في ذلك «الرحلة الوهرانية». وفي سنة ١٣٣٤هـ توجه لأداء فريضة الحج، وألَّف في ذلك «الرحلة إلى الحجاز»، وفيها اجتمع بكثير من علماء مصر والحجاز.

ومـن أعمالـه:

عيَّن ناظراً في أحباس فاس الجديد أربع سنوات، ثمّ عيَّن قاضياً في مدينة وجدة، ثمّ تولى عضويّة المحكمة العليا برباط الفتح، ثمّ عيَّن قاضياً بثغر الجديد في سنة ١٣٤٢هـ، ثمّ تولى القضاء بمدينة (سلطات) سنة ١٣٤٧هـ.

وتوفي في مدينة مراكش في ٢٣ شعبان ١٣٦٣هـ-١٢ أغسطس سنة ١٩٤٤م.

ويعتبر أحمد سكيرج من أكثر أتباع التجاني كتابةً وتأليفاً؛ إذ بلغت مؤلفاته حوالي ١٤٠ مؤلفاً[١]، ومن هذه المؤلفات:

١- الكوكب الوهاج.

٢- قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ.

٣- قرة العين في الجواب عن الأسئلة المودعة خبيئة الكون.

٤- مورد الصفا في محاذاة الشفا، وهو نظم لكتاب الشفا للقاضي عياض في ٤٧٤٧ بيتاً.

٥- الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص، وهو نظم للخصائص الكبرى

(١) «غاية الأماني» (١٣٠).

للسيوطي، نظم حوالي خمسة أسداس الكتاب في ١٠١٥٠ بيتاً ولم يكمله.

٦- كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التجاني من الأصحاب، وفيه ذكر ما يزيد عن مائتي ترجمة من أتباع التجاني.

٥- محمد الحافظ التجاني: هو محمد بن عبداللطيف بن سالم الشريف الحسني التجاني المصري، ولد في ربيع الثاني عام ١٣١٥هـ في بلدة (كفرقورص) بإقليم المنوفية بمصر. ويعتبر محمد الحافظ من المهتمين بعلوم الحديث، وقد قمت بزيارة لمكتبته الموجودة في الزاوية التجانيَّـة بالقاهرة، فوجدتها حافلة بأمهات كتب السُّـنَّة، مما يدل على عنايته الشديدة بها.

ورحل محمد الحافظ إلى السودان خمس مرات، وإلى الحجاز ثماني مرات. كما رحل إلى فلسطين وسوريا وتونس والجزائر ومراكش، ولقي بها كثيراً من العلماء. وتوفي محمد الحافظ التجاني عام ١٣٩٨هـ، ودفن في الزاوية التجانيَّـة بالقاهرة. وترك محمد الحافظ مؤلفات كثيرة، نذكر منها:

١- «الحق في الحق والخلق»

٢- «أصفى مناهل الصفا في مشرب خاتم الأولياء».

٣- «قصد السبيل في الطريقة التجانيَّـة».

٤- «فصل المقال برفع الإذن في الحال».

٥- «سبيل الكمال» (رسالتان إلى ألمانيا في الإسلام).

٦- «رسول الإسلام ورسالته الجامعة».

٧- «رد أوهام القاديانية» في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

٨- رسالة تحت عنوان «علماء تزكية النفس من أعلم الناس بالكتاب

والسُّنَّـة»، وهي عبارة عن ثلاث رسائل، إحداها في إثبات رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته.

٩- «الحد الأوسط بين من أفرط وفرَّط».

١٠- «أهل الحق العارفون بالله».

١١- «التوفيق بين الطوائف المعاصرة في الأصول».

١٢- «شروط الطريقة التجانيَّـة»[١].

١٣- «ترتيب مسند الإمام أحمد» (مخطوط).

كما أسس محمد الحافظ مجلة الطريق الناطقة بلسان التجانيين، وذلك في سنة ١٣٧٠هـ، وهي لا تزال تصدر حتى اليوم بصورة متقطعة.

(١) «غاية الأماني» (ص ١٢٤، ١٣٢).

مصـادر التِّجانيَّـة

مصادر التجانيَّـة في عقائدهم وأفكارهم، هي كتب الصوفية عموماً، كابن عربي والغزالي والحلاج وغيرهم. وعلى وجه الخصوص فإننا نجد مثلاً كتاب «جواهر المعاني» الذي هو أهم كتب أهل الطريقة مستقى من كتاب «المقصد الأحمد» للكتاني، وكتاب «ميزان الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانيَّـة» فيه خلاصة لكتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، وهكذا.

أما أشهر المصادر والكتب المؤلفة في الطريقة التجانيَّـة، فهي ما يلي:

١- «جواهر الأدب»: لأحمد التجاني، جمعه تلميذه علي حرازم. وهو أهم كتاب في الطريق، والمرجع الأساسي للتجانيين، وقد سبق بيانه أنّه مقتبس من كتاب المقصد الأحمد.

٢- «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم»: لعمر بن سعيد الفوتي الطوري، وقد كتبه في عام ١٢٦١هـ[1]، ويتكون من خمسة وخمسين فصلاً ومقدمة وخاتمة. تحدث فيه صاحبه عن أمور شتى، منها الحث على الدخول في هذه الطريقة، كما تحدث عن معنى الزهد عند الصوفية، وعن رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته، وعن فضل الطريقة التجانيَّـة وفضل اتباعها، قال فيه بعض التجانيين: «إنّ الرماح في هذه الطريقة مثل المدونة في المذهب»[2]. وطبع هذا الكتاب بهامش «جواهر المعاني» في مجلدين، وقام بطبعه مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

---

(١) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ٢٨٣).

(٢) «جناية المنتسب العاني» (٢/ ٧٢).

٣- «الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم» لمحمد ابن المشرى»، وقد اشتمل هذا الكتاب على جل ما اشتمل عليه «جواهر المعاني»، إلا أنّه زاد فيه بعض المسائل. وقام أحمد سكيرج بجمع ما انفرد به هذا الكتاب عن «جواهر المعاني» في كتاب سمَّاه «السر الباهر فيما انفرد به الجامع عن الجواهر»[١].

٤- «الإفادة الأحمدّية»: للحاج الطيب السفياني، جمع فيه مؤلفه ما سمعه بنفسه من الشيخ التجاني مشافهة، أو بلغه على لسان من سمعه منه ورتبه على حروف المعجم. وقد اختصره أحمد سكيرج في «كشف الحجاب»، وجعل عليه شرحاً سمَّاه «الإجادة على الإفادة»[٢]، وهو مطبوع بتحقيق محمد الحافظ التجاني بالمطبعة العالمية بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٥- «بغية المستفيد شرح منية المريد»: لمحمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، قام فيه مؤلفه بشرح نظم منية المريد لأحمد التجاني بن بابا الشنقيطي العلوي. والكتاب مطبوع في مجلد بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ-١٩٥٩م[٣].

٦- «ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانيَّـة»: لعبيدة بن محمد الصغير بن ابنوجة الشنقيطي التيشيتي، المتوفى سنة ١٢٨٤هـ[٤]. ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، ذكر في مقدمته ثلاث درجات: الأولى: في التعريف بالشيخ التجاني، والثانية: في سيرته وأخلاقه، والثالثة: في ذكر أوراده. وتحدث في الباب الأول عن فضل أدب الشيخ، وفي الثاني: عن كون هذه الطريقة

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٦٥، ٦٦).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٧٠).
(٣) «بغية المستفيد» جناية المنتسب العاني (٢/ ٧٥، ٧٦).
(٤) «ميزاب الرحمة الربانية» (٢٩٣).

طريقة شكر، والثالث: عن وضع الشكر على كافة المقامات الدينية والإيمانية، والرابع: عن أطراف من النعم ترشد إلى البصيرة في التفكير، والخامس: عن كيفية التربية بهذه الطريقة. وقد جمع في هذا الباب خلاصة ما في كتاب «الفتوحات المكيَّة» لابن عربي، كما يقول أحمد سكيرج[1]. ثم ختمه بخاتمة ذكر فيها نتيجة التربية بهذه الطريقة، والكتاب مطبوع بمطبعة عبدالحميد أحمد حنفي بمصر.

٧- «الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة»: لمحمد فتحا بن عبدالواحد السوسي النظيفي، وهو عبارة عن شرح لمنظومة في الطريقة التجانيَّـة اسمها «الياقوتة الفريدة». ويقع الكتاب في أربعة أجزاء، وقد طبع في مجلدين سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م في دار الكتب.

٨- «الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار»: لمحمد بن محمد الصغير الشنقيطي التشيتي، وقسمه مؤلفه إلى سبعة أبواب، في كلّ باب مقدمة وفصول، وهو عبارة عن ردود على الشيخ ديبج الشنقيطي الكميلي الذي انتقد الطريقة التجانيَّـة، وهو مطبوع بهامش «بغية المستفيد».

وهناك بعض الكتب التي نسبت إلى التجانيَّـة وتبرأ التجانيون منها، ومن هذه الكتب:

١- «يعسوب السر الرباني في مناقب القطب التجاني».

٢- «شرح الأسماء الحسنى للتجاني».

٣- «شرح الأجرومية للتجاني».

٤- «استغاثته وشرحها في الانتصار على من قتلوا ولده محمد الكبير».

٥- «رحلة التجاني»[2].

---

(١) المرجع السابق، (٦).

(٢) «جناية المنتسب العاني» (٢/ ٨٣).

عقيدتهم في الله

كثير من التجانيين من الذين يؤمنون بالله ورسوله، ولكنهم يخلون بهذا الإيمان في نواح كثيرة، وذلك بحسب بعدهم عن معرفة الإسلام الصحيح، فمنهم من يؤمن بأنَّ بعض المشايخ يعلمون شيئاً من الغيب، ومنهم من يؤمن بجواز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين، ومنهم من يؤمن بأنَّ الولي الواصل يتصرف في الكون كما يشاء، ومنهم من يخرج إلى دائرة الزندقة فيؤمن بوحدة الوجود، وهو يظن أنّه قد بلغ الغاية في التقوى والهداية. وتفصيل هذه العقيدة ما يلي:

أ - إيمانهم بوحدة الوجود:

لم أكن أظن أنّ التجانيَّـة وأمثالهم من المتصوفة الذين يبدو عليهم الصلاح والزهد يؤمنون بوحدة الوجود؛ لما فيها من الانحراف الظاهر والبطلان الواضح الذي لا يقرّه دين ولا عقل ولا فطرة[1]. ولكني وجدت هذه العقيدة مبثوتة في كثير من كتبهم، فكان لزاماً عليَّ أن أرد عليها وأبيّن ما فيها من زيغ وضلال. وفيما يلي بعض النصوص التي تبين إيمانهم بها واستدلالهم لها، وتشنيعهم على من خالفها:

١- قال في «جواهر المعاني»: «... اعلم أنّ أذواق العارفين في ذوات الوجود

---

(١) ينقسم التجانيون حيال هذه العقيدة إلى ثلاثة أقسام:

أ - قسم يؤمنون بها ويدافعون عنها، وهم أكثر مشايخ التجانيَّـة المتقدمين.

ب - قسم ينكرونها ويكفرون قائلها، وهم بعض المتأخرين منهم.

جـ - قسم يؤمنون بكلّ ما قيل لهم، ويكفرون بكلّ ما حذروا منه، وهم الجهلة المقلدون، وهم أغلبية أهل هذه الطائفة.

أنّهم يرون أعيان الموجودات: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾[1] الآية، فما في ذوات الوجود كلّه إلا الله سبحانه وتعالى تجلى بصورها وأسمائها، وما ثم إلا أسماؤه وصفاته. فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسمائها ظاهرة بصورة الغير والغيرية، وهي مقام أصحاب الحجب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها[2].

٢- وقال في ميدان الإفضال: «... وأنّ هذا الاعتقاد ليس اعتقاد القائل بوحدة الوجود؛ لأنّ ذلك اعتقاد صحيح شرعاً يقبله العقل السليم بالوهب الإلهي والفيض الرحماني، وإن لم يدركه بالنظر الفكري...»[3].

٣- وقال أيضاً عند شرحه لقول أحمد التجاني: «(إحاطة النور المطلسم) مما يوحى إلى وحدة الوجود لتعلم صحة اعتقاد معتقدها وكماله، ونقص اعتقاد منتقدها واعتلاله، ولكن قد علم كلّ أناس مشربهم ومشرقهم ومغربهم...»[4].

٤- وقال أيضاً: «والقائلون بوحدة الوجود أولو الذوق الصحيح والكشف الصريح، وأهل هذا التصديق الجامع، فإنّهم قائلون بأنّ الله تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي...»[5]. وسنذكر فيما يلي ما استدلوا به من شبهات، ونناقشها واحداً بعد الآخر:

الشبهة الأولى:

قال في ميدان الإفضال أنّ الله تعالى لا ماهية له، وأنّه يقبل التجلي في جميع الصور، وأنّ الوجود في هذه الصورة المرئيّة هي وجوده تعالى. ثمّ قال: «ويشهد لهذا

---

(١) سورة النور: الآية ٣٩.

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ٢٥٩).

(٣) «ميدان الإفضال»(ص ٦٢) المطبعة الرسمية بتونس ١٣٢٩هـ.

(٤) المرجع السابق، (ص ٦٦).

(٥) المرجع السابق، (ص ٦٦).

التجلي حديث مسلم الذي أخرجه في «صحيحه»، ومنه: «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوها فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كلّ أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً... ثمّ يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا...» الحديث[1].

المناقشة:

١- إنّ إتيانه سبحانه وتعالى في هذه الصور يكون في يوم القيامة، كما دلّ على ذلك لفظ الحديث نفسه، حيث جاء في أول الحديث: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارعون في رؤية الشمس في الظهيرة صحواً ليس فيها سحاب؟...» الحديث[2]. فليس فيه دليل على أنّ الله تعالى يتجلى بصور الموجودات في الحياة كما يزعمون.

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء الملاحدة يقولون إنَّ العارف بالله يعرفه في كلّ صورة، فإنّ الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم، وهذا جهل منهم، فإنَّ الذين أنكروه يوم القيامة ثمّ عرفوه لمّا تجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الأنبياء والمؤمنون، وكان إنكارهم مما حمدهم -

(١) «ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال» (٧٠). والحديث رواه البخاري. انظر: «صحيح البخاري» المطبوع مع شرحه «فتح الباري» (١٣/ ٤٢١)، (١١/ ٤٤٥)، ورواه مسلم، انظر: «صحيح مسلم» المطبوع مع شرحه النووي (٣/ ٢٧، ٢٩)، واللفظ لمسلم.

(٢) «صحيح مسلم مع شرح النووي» (٣/ ٢٥).

سبحانه وتعالى- عليه، فإنّه امتحنهم بذلك؛ حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه»[1]. فهل الأنبياء والمؤمنون لا يعرفون الله حق المعرفة؟ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

٣- إنّه يلزم على قولهم إنّ الله يظهر بكل صورة أن يكون الله في الحديث هو المنكِر والمنكَر؛ لأنّهم يقولون: ليس في الوجود شيء سوى الله، كما قال بعضهم: من حدَّثك أنّ في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له الآخر: ومن هو الذي كذب؟[2].

٤- إنّ معنى هذا الحديث أن تؤمن أنّ الله تعالى يرى يوم القيامة، وأنّه يتحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، كما جاء في الحديث على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تأويل، مع اعتقادنا الجازم أنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنّه منزه عن مشابهة المخلوقين.

الشبهة الثانية: شبهة عقلية

قال في «جواهر المعاني»: «... وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالة الوجود، وبطلان ما ألزموه لمن قال بها. قال رضي الله عنه: بيانها من وجهين:

الوجه الأول: أنّ العالم الكبير كذات الله إنسان في التمثيل، فإنّك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة، مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة، والخاصية من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومخ، وكذلك اختلاف جوارحه وطبائعه التي ركبت فيه وبها قيام بنيانه. فإذا فهمت هذا، ظهر لك بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة لاستلزام تساوي الشريف والوضيع، واجتماع المتنافيين والضدين، إلى آخر ما

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٤٢).

قالوه. قلنا: لا يلزم ما ذكره هنا؛ لأنّه وإن كانت الخواص متباعدة، فالأصل الجامع لها ذات واحدة، كذات الإنسان سواء بسواء.

الوجه الثاني: اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كله للخالق سبحانه وتعالى وأثراً لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذه الحالة، وإن اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد، فبهذا النظر هو متساوٍ، فيلزم اتحاده وإن اختلفت أجزاؤه.

ثم قال رضي الله عنه: ... وهناك وجه ثالث في إيضاحه، وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحق فيضاً متحداً، ثمّ مثاله في الشاهد مثال المداد، فإنّ الحروف المتفرقة في المداد والكلمات المتنوعة والمعاني المختلفة التي دلت عليه صوره، لم تخرجه عن وحدة مداديته...»[1].

المناقشة:

١- إنّ قياسهم وحدة الوجود على جسم الإنسان قياس مع الفارق، فإنّ جسم الإنسان بما فيه من أعضاء كاليد والرجل والعين متحداً اتحاداً ذاتيًا؛ إذ أنّ هذه الأعضاء لا ينفصل بعضها عن بعض، بخلاف الموجوات في هذا الكون، فإنّ كلّ موجود مستقل عن الآخر، فإنّ الإنسان مثلاً منفصل عن الإنسان الآخر، فلا يقول عاقل إنّ بينهما اتحاداً ذاتيًا. وكذلك الإنسان منفصل عن سائر المخلوقات، فإذا كان هذا الاتحاد الذاتي ممتنعاً بين المخلوق والمخلوق، فهو بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

٢- قولهم: «اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كلّه للخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثراً لأسمائه، فالأصل الذي برز منه واحد، فهو بهذا النظر متساوٍ...

---

(١) «جواهر المعاني» (٢/ ٩٨، ٩٩).

الخ»، إن أريد به أنّ الوجود متحد المنشأ والمصدر، إذ قد صدر من الله الواحد، فهو متحد في كونه مخلوقاً لله، صادراً من عنده، فهذا المعنى حق. وإن أريد أنه صدر من الله الواحد، فهو وما صدر منه واحد، بمعنى أنهما متحدان ذاتاً، فهذا قول أهل الوحدة، وهو قول باطل باتفاق العقلاء من العلماء وغيرهم. وهذا المعنى هو الذي تدل عليه عبارتهم وسياقهم له في هذا المقام، والله أعلم.

٣- أما تمثيلهم بالمداد، فهو كذلك باطل، وبيان ذلك أنّ الكلمات وإن اتحدت في كونها كتبت بالمداد واختلفت معانيها وتراكيب ألفاظها، فليس بينهما اتحاد ذاتي، ولا يعني أنها وحدة واحدة، وإنما يدلّ على أنها تشترك في أصل المادة، وكذلك المخلوقات من بني الإنسان.

٤- أنّ القول بوحدة الوجود مستحيل عقلاً، وأنّه مناقض للفطر والشرائع؛ إذ يلزم عليه محاذير كثيرة لا يقرّها شرع ولا عقل ولا عرف، ومن هذه المحاذير:

أ - أنّه لو كان الوجود وحدة واحدة، وأنّ الخالق عين المخلوق، لما كان لأوامر الشريعة معنى، إذ الآمر هو المأمور[1].

ب - أنّ في هذا القول إنكاراً لأن يكون الله خلق شيئاً من هذه المخلوقات؛ لأنها ليست سواه، فالخالق عين المخلوق والمخلوق عين الخالق. ومن الممتنع أن يكون خالقاً لنفسه؛ لأنّ الشيء لا يخلق نفسه، قال تعالى متحدياً الكفار: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[2].

جـ- ويلزم على هذا القول ألا يكون الله رب العالمين ولا مالك الملك؛ لأنه لا يكون رب نفسه، ولا يكون مالكاً مملوكاً، إذ ليس هناك أحد سواه.

---

(١) «الله ذاتاً وموضوعاً» عبدالكريم الخطيب (ص ٢١٩) الطبعة الثانية.

(٢) سورة الطور: الآية ٣٥.

د - كما يلزم منه أنه لم يرزق أحداً شيئاً، ولا هدى أحداً، ولا علّم أحداً علماً، فلم يصل إلى أحد منه خير ولا شر، إذ هو الرازق والهادي المهدي، والعالم المعلم، إذ ليس في الوجود سواه[1].

هـ- أنّ الله هو الذي يصوم ويقوم ويركع ويسجد ويموت، وتصيبه الأمراض، وتتسلط عليه الأعداء، ويكون -تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً- هو الموصوف بكلّ نقص وعيب؛ إذ ليس في الوجود أحد سواه يتصف بهذه النقائص والعيوب[2].

و- كما يلزم منه أنّ الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوا غير الله، إذ ليس في الوجود سواه، وقد صرَّح التجانيون بذلك[3].

ز- كما يلزم منه تصحيح دعوى من ادعى الألوهية من البشر كفرعون والدجَّال المنتظر[4].

ح- أنّ كلّ عابد للشيطان أو لهواه هو عابد لله.

ط- يلزم من هذا القول أن تكون الكلاب والحمير والخنازير آلهة تعبد، إذ ليس في الوجود أحد سوى الله[5]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وحكم من آمن بوحدة الوجود:

ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى بائن من خلقه، لا يشبهه شيء من مخلوقاته، متصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى

(١) «التفسير القيم» لابن القيم (٥١) مطبعة السنة المحمدية.
(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» القسم الثاني (١٣٥) الطبعة الأولى مطبعة المنار.
(٣) «جواهر المعاني» (١/ ١٨٤، ١٨٥).
(٤) «مجموعة الرسائل والمسائل» القسم الثاني (١٤٧).
(٥) «الله ذاتاً وموضوعاً» (٢٠٥).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]. فهو المتفرد بالجلال، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن النقائص والعيوب، فمن اعتقد أنّ الله متحد بمخلوقاته، وأنّ العبد عين الرب، والرب عين العبد، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، وخالف الفطر والشرائع، وقد كفَّر الله تعالى النصارى الذين قالوا إنّ الله اتحد بعيسى عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2]، فكيف بمن يقول إنّ الله متحد مع جميع مخلوقاته.

ب - إيمانهم بالفناء (وحدة الشهود):

قال في «جواهر المعاني»: «اعلم أنّ سيدنا رضي الله عنه سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ماهو؟، فأجاب رضي الله عنه بقوله: وأما ما هو حقيقة الشيخ الواصل، فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقيناً، فإنّ الأمر أوله محاضرة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف. ثمّ مكاشفة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق. ثمّ مشاهدة، وهو تجلي الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية، ولا بقاء للغير والغيرية عيناً وأثراً، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء، فليس هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق، فلم يبق إلا الله لا شيء غيره، فلا ثم موصول ولا ثم واصل»[3].

والفناء في ذات الله عندهم ليس لكلّ العارفين، وليس في كلّ الأوقات، فهو فناء خاص مؤقت[4].

وقد استدلوا على ذلك بما يلي:

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٧، ٧٢.

(٣) «جواهر المعاني» (١/ ١٦٠).

(٤) «جواهر المعاني» (٢/ ١٩-٢٠)

الشبهة الأولى:

قال في «الجواهر»: «... ثمّ يتجاوز ذلك إلى مرتبة أعلى منها، وهي شهود الذات العلية والغيبية فيها، ويقول شهوده: الصفات حجاب عن شهود الذات، وكثيراً ما يتكلم في هذا المعنى، وفي البقاء بعد الفناء، ومحو أوصاف العبد بظهور أوصاف ربه فيه. ويستشهد بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» الحديث[1].

المناقشــة:

١- إنّ تفسير الحديث بهذا المعنى لم يقل به إلا بعض غلاة الصوفية، وقد وصفهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» من جراء ذلك بالزيغ، فقال: «وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أنّ العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفو من الكدورات، أنه يصير في معنى الحق، تعالى الله عن ذلك...»[2].

٢- أنّ في قوله في نهاية الحديث «وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»[3] ردّاً عليهم، فأثبت الله سبحانه وتعالى سائلاً ومعطي، وأثبت مستعيذاً ومستعاذاً به.

(١) «جواهر المعاني» (١/١١٨، ١١٩، ٢/٦، ١٤). والحديث رواه البخاري، «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١١/ ٣٤٠، ٣٤١).
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٤١).
(٣) «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١١/ ٣٤١).

٣- إنّ الحديث مخصوص بحال معين بالسمع والبصر واليد والرجل، والقائلون بالفناء يجعلون المخلوق عين الخالق في كلّ شيء، لا في هذه الأربعة وحدها[١].

٤- إنّ معنى الحديث هو ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «والحديث حق كما أخبر به النبي ﷺ، فإن وليّ الله لكمال محبته وطاعته لله، يبقى إدراكه لله وعمله لله وبالله، ما يسمعه مما يحبه الحق أحبه، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه، وما يراه مما يحبه الحق أحبه، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه... فوليّ الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه والمأمور والمنهي، ونحو ذلك...»[٢].

الشبهة الثانية:

قال في «الجواهر»: «... وفي هذا المعنى ينمحق الذاكر والذكر ويصير حاله إذ لو نطق لقال: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي؛ لاستهلاكه في بحار التوحيد. وهذه المرتبة آخر الذكر، وصاحبها صامت لا يذكر ولا يتحرك، وإليه يشير بقوله ﷺ: «من عرف الله كلّ لسانه»[٣].

المناقشة:

١- إنّ هذا قال فيه الإمام النووي: «إنّه ليس بثابت»[٤]، واعتمد على ذلك ملاّ علي القاري في كتابه «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع»، وما كان كذلك فلا يحتج به.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٤١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٧٣، ٢/ ٣٤٠، ١٠/ ٧٠٤).

(٣) «جواهر المعاني» (٢/ ٢٥٧).

(٤) «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (١٥٤)، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، وقد ذكر فيه بلفظ: «من عرف ربه كلّ لسانه».

٢- وعلى تقدير ثبوت الحديث، فإنّ معناه أنّ من عرف الله حق المعرفة كَلَّ وتعب لسانه من ذكره تعالى؛ لعلمه أنه مهما ذكر الله، فإنَّه لا يوفيه حق نعمته عليه، فليس فيه دليل على فناء العارف في ذات الله بوجه من الوجوه.

٣- إنّ القول بفناء العارف في ذات الله قول واضح البطلان أنكره علماء السلف والخلف، بل أنكره بعض علماء الصوفية[١].

قول أهل السُّنّة والجماعة في الفناء الذي يدعيه المتصوفة وحكمه:

لم يرد مدح لفظ (الفناء) في الكتاب والسُّنّة، ولا في كلام الصحابة والتابعين، ولا ذكره مشايخ الصوفية المتقدمون بمدح ولا ذم[٢]. وهذا اللفظ لا يقبل مطلقاً ولا يرد مطلقاً، بل لا بدّ فيه من تفصيل:

١- فإن أريد بالفناء الفناء عن عبادة الله بمعنى صرف العبادة لله وحده دون من سواه، فهذا المعنى حق، وهو معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، ولا يقوم الدين إلا به.

٢- وإن أريد به الفناء عن وجود السوى، فليس هناك موجود إلا الله، وهو ما يعبر عنه بـ (وحدة الوجود)، فهذا المعنى باطل، ولا شك أنّ القول به من أعظم الكفر كما سبق بيانه.

ثمَّ إنّ أهل السنة والجماعة لا يرون أنّ حال الفناء حال كمال، بل حال البقاء أفضل منها وأكمل؛ لأنّ هذا الفناء لم يكن لنبينا محمد ﷺ، ولا لأحد من الصحابة، فلو كان هذا الفناء كمالاً لكانوا أحقّ به[٣].

---

(١) انظر: «اللمع» لأبي نصر السراج (٥٤٣).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧٧) مطبعة السنة المحمدية.

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ١٥٧، ١٥٨).

جـ- إيمانهم بأنّ بعض الأنبياء والمشايخ يعلمون الغيب:

يعتقد التجانيون أنّ مشايخهم يعلمون الغيب، وأنهم يكاشفون، وأنهم ورثوا مفاتح الغيب من محمد ﷺ، وهذه عقيدة مبثوثة في كتب التجانيين، فيستدلون على أنّ الأولياء يعلمون الغيب بقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [1].

قال في «رماح حزب الرحيم»: «وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنّه يرى أحواله كلها، كما يرى الأشياء في الزجاجة»[2].

وقال في «جواهر المعاني»: «... وبقي الطريق الرابع وهو ما يقذفه الله في قلب العبد بغير حاسة ولا واسطة ولا فكر، ويسمى هذا العلم اللدني، فإنّ هذا العلم غير منفي على الرسول ﷺ، ولا على غيره من النبيين والمرسلين، يشهد بذلك قوله سبحانه وتعالى : : ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ الآية. قال المرسي: أو صديق أو ولـي»[3].

المناقشـة:

١- إنّ هذا التفسير من المرسي -إن صح عنه- لا دليل عليه، والمصرح به في الآية هو الرسول وحده. والمعنى أنّ الله يطلع بعض رسله على ما شاء من أمور الغيب دون سواهم، وهذا ما صرح به علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، قال ابن عباس في تفسير الآية: «فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي، وأظهرهم عليه بما أوحي إليهم من غيبه، وما يحكم الله فإنّه لا يعلم ذلك غيره»[4]. وبهذا

---

(١) سورة الجن: الآيتان، ٢٦، ٢٧.

(٢) «رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم» (١/ ٢٨).

(٣) «جواهر المعاني» (١/ ٢١٨).

(٤) «تفسير الطبري» (٢٩/ ٧٦، ٧٧) دار المعرفة.

يتبين بطلان هذا التفسير، والله أعلم.

٢- إنّ ادعاء علم الغيب لأحد من البشر مردود بالكتاب والسنة، فقد ورد في الكتاب العزيز آيات كثيرة صريحة في نفي علم الغيب عمن سوى الله، منها:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[٤].

فكلّ هذه الآيات تدلّ على اختصاص الله بعلم الغيب وحده دون من سواه، فلا يعلم الغيب ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فكيف بسواهما؟. كما وردت آيات أخرى تنفي عن الرسول محمد ﷺ علم الغيب، وكذلك عن سائر الرسل، منها قوله تعالى لنبيه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٥].

وقد ورد في السُّنّة أحاديث كثيرة في هذا المعنى، منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»[٦].

ومنها ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «من حدّثك أنّ محمداً

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٥.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٠.

(٣) سورة هود: الآية ١٢٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٦) رواه البخاري، «صحيح البخاري» المطبوع مع شرحه «فتح الباري» (١٣/ ٣٦١).

رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾. ومن حدّثك أنّه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾[1].

مذهب أهل السُّنّة والجماعة وحكم من ادعى شيئاً من علم الغيب:

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنّ الله وحده هو الذي يعلم الغيب دون سواه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأنه يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب إذا شاء متى شاء، كما أوحى إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن وكان غيباً في علم الله.

ثمّ يقولون: إنّ الغيب ينقسم إلى قسمين:

١- الغيب المطلق: وهو ما يعلمه الله وحده دون من سواه، فالله كما استأثر بعلم بعض المغيبات، فإنّه سبحانه وتعالى قد أحاط علماً بجميع المغيبات، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2]، وهو المقصود هنا، وهو المقصود عند الإطلاق.

٢- الغيب المقيد: وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، كالذي يعلمه الملائكة عن أمر أعمالهم ولا يعلمه البشر، وكالذي يعلمه بعض البشر دون بعض، وذلك ما يتوصل إليه بمعرفة الأسباب الموصلة إليه، سواء كانت عقلية كالمسائل الرياضية، أو علمية كالمخترعات الحديثة كالهاتف والحاسب الآلي، وغيرها. وهذا لا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله[3].

ومن ادعى معرفة شيء من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فقد كفر. ومن ذهب إلى كاهن أو عرَّاف ممن يدعون علم الغيب، فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب. وأنّ ما أخذ على ذلك من مال فقد أجمع العلماء على تحريمه، والله أعلم.

---

(١) نفس المرجع السابق (١٣/ ٣٦١).

(٢) سورة النمل: الآية ٦٥.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١١٠)، «تفسير المنار» (٧/ ٤٢٢).

عقيدتهم في القـرآن

يعتقد كثير من التجانيين بأنّ (صلاة الفاتح لما أغلق) أفضل من القرآن الكريم، ونص هذه الصلاة هو: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم»[1].

قال مؤلف «جواهر المعاني»: «... ثمّ أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها، فأخبرني أولاً بأنّ المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات. ثمّ أخبرني ثانياً أنّ المرة الواحدة منها تعدل من كلّ تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كلّ دعاء كبير وصغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لأنه من الأذكار»[2].

ثمّ هم يعتقدون أيضاً أنها من كلام الله، وفي ذلك يقول مؤلف «الرماح» أنّ من شروطها: أن يعتقد أنها من كلام الله[3].

المناقشـــة:

١- أنَّ هــذه الصــلاة التــي يزعم التجانيون أنّ شيخهم تلقاها من النبي ﷺ لم ترو -كاملة- مسندة مرفوعة إلى النبي ﷺ، لا في حديث صحيح، ولا حسن ولا ضعيف، لا في حديث قدسي، ولا في غيره[4]، فكيف يزعمون أنها من كلام الله

---

(١) «أحزاب وأوراد التجاني» (١٢)، تحقيق محمد الحافظ، الطبعة الخامسة.

(٢) «جواهر المعاني» (١/ ١٣٦)، «الجيش الكفيل بأخذ الثأر» (٢١٦).

(٣) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ١٣٩).

(٤) «مشتهى الخارف الجاني» (١٦١).

كالأحاديث القدسية.

٢- أنّه قد ورد بعض هذه الصلاة في صلاة منسوبة إلى الإمام علي رضي الله عنه، فقد جاء في كتاب «الشفاء» للقاضي عياض ما نصه: «وعن سلامة الكندي: كان علي يعلمنا الصلاة على النبي: اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدافع لجيشات الأباطيل كما حمل، فاضطلع بأمرك لطاعتك... الخ»[1]. وقد رواها الحافظ ابن كثير في «تفسيره»، وحكم عليها بأنها موقوفة على علي. ثمّ قال ابن كثير: «هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه، إلا أنّ في إسناده نظراً. قال شيخنا أبو الحجاج المزي: سلامة الكندي: هذا ليس بمعروف، ولم يدرك عليًا كذا قال»[2]. فتبين من ذلك أنّ هذا الأثر المذكور لم يرو عن علي رضي الله عنه بسند صحيح متصل.

٣- إنّ تفضيل التجاني صلاة الفاتح لما أغلق على القرآن استهزاء واستهتار بكتاب الله تعالى؛ لأنّ التفضيل في غير مقام الاستهزاء والتهكم لا بدّ فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل.

٤- أنّ في قوله هذا صدًّا عن كتاب الله، وصرفاً للناس عن قراءته وتدبر معانيه، وداعياً إلى هجره. فإذا كانت صلاة الفاتح لما أغلق وهي لا تتجاوز ثلاثة أسطر تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، فإنّ من يعتقد ذلك سينصرف عن قراءة القرآن إلىهذه الصلاة التي لا تتطلب منه وقتاً ولا جهداً. ثمّ إنّ في صرفهم عن قراءة القرآن صرفاً لهم عن طريق الإسلام الصحيح، حتى يصبح المسلمون أسرى

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ١٦٣-١٦٤) دار الوفا للطباعة والنشر - دمشق.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٩) دار إحياء الكتب العربية.

لخرافات الصوفية وعقائدها[1]. يقول التلمساني[2] وهو من أئمة الصوفية: «القرآن كلّه شرك، وإنما التوحيد في كلامنا»[3].

٥- إذا كانت هذه الصلاة من كلام الله، فكيف يصح للتجاني أن يزيد فيها لفظ (سيدنا) ويزعم أنّ الله يقول: اللهم صلى على سيدنا محمد. أفلا يدري أنّ الرسول ﷺ ليس سيداً، بل الله هو السيد سبحانه وتعالى[4].

٦- ومما يدل على بطلان ما زعموه تناقضهم، فتارة يقول: هي من كلام الله نزلت بقلم القدرة، وتارة يقول: هي أفضل من كلام الله، وتارة يقول: هي من كلام الله كالأحاديث القدسية.

مذهب أهل السُّنّة والجماعة وحكم من اعتقد أنّ صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله، أو أنها أفضل من القرآن الكريم:

ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنّ القرآن كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بلسان عربي مبين المتعبد بتلاوته، منه بدأ و إليه يعود، ليس بمخلوق، ولا يشبه كلام المخلوقين، وفضل القرآن على غيره من سائر الكلام كفضل الله على خلقه[5].

وزعم التجاني أنّ النبي ﷺ هو الذي أخبره بأنّ صلاة الفاتح لما أغلق من كلام الله تعالى، فكيف تكون هذه الصلاة من كلام الله تعالى ولم يبلغها النبي ﷺ

---

(١) «مصرع الشرك والخرافة» (ص ٥٢٣) تأليف خالد محمد علي الحاج، مطابع الدوحة الحديثة.

(٢) هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين، من مشاهير الصوفية، توفي سنة ٩٥٤ هـ بتلمسان. «عنوان الدراية» (٢٢، ٣٢) «العلام» (٣/ ٢٤٤).

(٣) «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ١٤٥).

(٤) «الهدية الهادية» (١٠٦).

(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٧٩، ٣٥٢، ٣٥٤).

أصحابه ولا دوّنوها في مصاحفهم، كما أنها لم ترد عن النبي ﷺ في حديث صحيح ولا ضعيف.

ومن العجب أن يتصور التجاني هذا القول وأن ينطق به لسانه، مع معرفته أنّه كذب على رسول الله ﷺ، وقد قال جمهور العلماء: من اعتقد حل الكذب على النبي ﷺ، فقد كفر[1]. وقد قال النبي ﷺ: «من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»[2].

كما زعم التجاني أنّ صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من القرآن ستة آلاف مرة، ومن زعم أنّ شيئاً من كلام البشر أفضل من القرآن، فقد كفر بما أنزل على محمد، وقد قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[3].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١/ ٢٠١).

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. «جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي» (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥).

عقيدتهم في الرسول صلى الله عليه وسلم

أولاً: إيمانهم برؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته:

تقوم هذه الطريقة على ادعاء رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، والأخذ منه مباشرة، إذ كلّ ما قالوه من أفكار وما ذكروه من أوراد، زعموا أنّ شيخهم قد أخذها من النبي ﷺ يقظةً لا مناماً. قال في «جواهر المعاني»: «قال رضي الله عنه: أخبرني سيّد الوجود يقظةً لا مناماً، قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان... الخ»[1].

وقال في «رماح حزب الرحيم»: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة»[2]، ويستدل التجانيون على إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا بما رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»[3]. قالوا: فالحديث صريح في رؤية النبي ﷺ يقظةً بعد موته في الدنيا.

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١٢٩). وانظر أيضاً: «جواهر المعاني» (١/ ٣٠، ٣١)، «جواهر المعاني» (٢/ ٢٢٨).

(٢) «رماح حزب الرحيم» (١/ ١٩٩).

(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١٢/ ٣٨٣)، واللفظ له. ورواه مسلم، «صحيح مسلم على شرح النووي» (١٥/ ٢٦). ورواه أبو داود، «سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود» (١٣/ ٣٦٦).

المناقشــة:

١- أنَّ الحديث على هذه الرواية[1] ليس نصّاً صريحاً في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا كما يزعم التجانيون، بل الحديث محتمل، ولذا اختلف العلماء في معناه.

٢- أنّ رؤية النبي ﷺ في الدنيا ومخاطبته باطل من وجهين:

أ - أنّه مستحيل شرعاً؛ لأن النبي ﷺ قد مات، فادعاء حياته بعد موته قبل يوم القيامة يلزم مخالفته لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2]. ولا يتأتى على ذلك أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم، وكذلك الشهداء، ولا ما ورد عن النبي ﷺ من أنه ترد عليه روحه حتى يرد السلام على من سلَّم عليه[3]، فإنّ تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة، ولذا يقتصر في شأنها على ما ورد في النصوص.

ب - أنّه مستحيل عقلاً، قال القرطبي: «وهذا القول يدرك فساده ببادئ العقول؛ إذ يلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائياً في آن واحد في مكانين، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره، ويمشي في السوق ويخاطبوه، ويلزم منه أن يخلو قبره الشريف من جسده الشريف، فلا يبقى في قبره منه شيء، فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب؛ لأنّه جائز في الليل والنهار، مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى

---

(١) ورد الحديث بعدة روايات: (إحداها قوله: سيراني في اليقظة، والثانية: لكأنما رآني في اليقظة، والثالثة: فقد رآني في اليقظة). قال ابن حجر: «وجلّ أحاديث الباب كالثالثة، إلا قوله: في اليقظة» «فتح الباري» (١٢/ ٣٨٣).

(٢) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٣) رواه أبو داود وسكت عنه، «سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود» (٦/ ٢٦). ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٧). وقال ابن القيم: وقد صح إسناد هذا الحديث. «عون المعبود» (٦/ ٣٠).

مسكة من العقل»[1].

٣- أنه على فرض صحة هذا الاحتمال لا يليق بعالم بله غيره أن يصرف هذا الدليل إلى هذا الاحتمال؛ لأنّ من القواعد الأصولية أنّ الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، بطل به الاستدلال. فكيف إذا كان هذا الاحتمال ينقضه نفس الحديث، ويرده الشرع والعقل؟[2].

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته في الدنيا، وحكم من قال إنّه يرى النبي ﷺ بعد موته يقظة:

إنّ رؤية النبي ﷺ في المنام حق؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، ومن ذلك ما رواه البخاري في «صحيحه» بالسند المتصل عن أبي سعيد الخدري أنّه سمع النبي ﷺ يقول: «**من رآني فقد رأى الحق فإنّ الشيطان لا يتكونني**»[3]. أمّا رؤيته ﷺ بعد موته، فمذهب أهل السُّنّة والجماعة أنّه لا يرى يقظة، ومن رأى ما يوهم ذلك، فإنّه من تلبيس الشيطان -لعنه الله-، ولا يتأتى عليه حديث: «فإنّ الشيطان لا يتمثل بي»، فإنّ الشيطان كما أخبر ﷺلا يتمثل به، لكن الشيطان يخبر قرينه بخبر كاذب. ورؤية النبي ﷺ يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف، فلا يجزم بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السُّنّة ما يدل على إثباتها، ولم يدعيها أحد ـ فيما نعلم ـ من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من أتباعهم. فمن قال بأنّ النبي ﷺ يرى يقظة بعد موته، فقد أتى بقول يدرك فساده بأوائل العقول.

---

(١) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٥/ ٢٩٣).

(٢) «مشتهى الخارف الجاني» (٥٥، ٥٦).

(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١٢/ ٣٨٣).

ثانياً: إيمانهم بأن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أوحي إليه:

ادعى التجانيون أنّ النبي ﷺ لم يبلغ الأمة جميع ما أنزل إليه من ربه، وأنّه كتم شيئاً منه، قال مؤلف «جواهر المعاني»: «وسألته رضي الله عنه هل خبر سيد الوجود بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب رضي الله عنه بما نصه: الأمر العام الذي كان يأتيه عاماً للأمة، طوى بساط ذلك بموته ﷺ، وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، فإنّ ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا ينقطع»[1].

وقال مؤلف «الجيش الكفيل»: «وسئل هل كان ﷺ عالماً بفضل صلاة الفاتح لما أغلق؟ فقال: نعم كان عالماً به. قالوا: ولِمَ لم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه ﷺ بتأخير وقته، وعدم وجود من يظهر الله على يديه في ذلك»[2].

ومن أدلتهم على ذلك: قال مؤلف «الجيش الكفيل بأخذ الثأر»: وفي فقه الأعيان للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله ما نصه: قال -عليه الصلاة والسلام-: «أخذت ليلة أسري بي ثلاثة علوم: علم أُخذ علي العهد أن أبلغه للخاص والعام، وعلم أخذ علي العهد أن لا أبلغه إلا لخواص أصحابي الذين يقدرون على حمله، وعلم لا يقدر على حمله غيري، فأُخذ عليّ العهد ألا أخبر به أحد». ثمّ قال: «فإذا تقرر هذا، علمت أنّه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كلّ ما علمه، كيف وعنده علم الأولين والآخرين»[3].

المناقشـــة:

١- إنّ هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، فقد قال محمد بن عبدالباقي

---

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١٤٠)، «رماح حزب الرحيم» (١/ ١٤٦).

(٢) «الجيش الكفيل بأخذ الثأر» (١١٠).

(٣) المرجع السابق، (١١٠، ١١١).

الزرقاني: «قال الشامي... وهو كذب بلا شك، والعجب من النعماني حيث أورد الروايتين بطولهما ساكتاً عليهما، قائلاً: ولا يستبعد وقوع هذا كلّه في بعض ليله»[1].

٢- وعلى فرض صحة الحديث، فإنه معارض بنصوص الكتاب والسُّنّة التي تدلّ على أنّ النبي ﷺ قد بلغ جميع ما أوحي إليه من ربه، ولم ينقص منه حرفاً، ولم يزد عليه حرفاً، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[3]، ومن السُّنَّة ما ورد عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟، قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر»[4].

٣- قوله: «فإذا تقرر هذا، علمت ضرورة أنّه ﷺ لم يؤمر بتبليغ كلّ ما علمه»، يحتمل الحق والباطل، فإن أراد أنّ النبي ﷺ قد يخصّ بعض أمته بشيء لا تنبني عليه الأحكام الشرعية، فهذا حق، كما أخبر حذيفة وحده بأسماء المنافقين. وإن أراد أنّه قد يخصّ بعض أمته بشيء مما أمر بتبليغه من الشرع، فهذا باطل؛ لعموم آيات التبليغ وإكمال الدين السابق ذكرها.

٤- أنّ النبي ﷺ قد بيّن في حياته لأمته أحكام الدين كاملة، كما في حديث

---

(١) وهذا الحديث ذكر في بعض الكتب الصوفية، فقد ذكره حسن فهمي النامرواني في كتابه «الاقتصاد وشرح قصيدة البردة» (١٤٠) المطبعة العامرية. كما ذكره ابن عطاء الله في كتابه «المنن»، ومحمد القاسم القاهري في حاشيته على شرح خالد الأزهر على البردة.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٤) رواه البخاري، «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١/ ٢١٦).

جبريل حينما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه: «... ثمّ أدبر فقال ردوه، فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[1]. فما خرج عن هذه الثلاثة فليس من الدين، ومنه الخاص الذي زعم التجانيون أنّ النبي ﷺ يلقيه للخاص، فليس من الدين، وليس مما يقرب إلى الله تعالى.

٥- أنّ هذا يدلّ على أمر خطير، وهو عدم انقطاع خبر السماء عن الناس بوفاة الرسول ﷺ، وهو خلاف ما ثبت عن أبي بكر وعمر وأم أيمن رضي الله عنهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟، ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أنّ الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[2].

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وحكم من اعتقد أنّ النبي ﷺ كتم شيئاً من وحي الله:

ذهب أهل السُّنّة والجماعة إلى أنّ النبي لم يتوفه الله حتى بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأمة، ولم يكتم شيئاً مما أوحاه الله إليه، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة.

ومن اعتقد أنّ النبي ﷺ قد كتم شيئاً مما أوحاه الله إليه، فقد كفر؛ لمخالفته لصريح القرآن والسُّنّة المطهرة وإجماع الأمة.

---

(١) رواه البخاري، «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١/ ١١٤).

(٢) رواه مسلم، «صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي» (١٦/ ٩، ١٠).

ثالثاً: إيمانهم بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وعباد الله الصالحين:

يؤمن التجانيون بجواز التوسل بذات النبي ﷺ وبالشيخ التجاني، ومؤلفاتهم مليئة بالنصوص التي تدلّ على ذلك، ومن ذلك قال مؤلف «رماح حزب الرحيم» مشيراً إلى كيفية التوسل بالنبي ﷺ وبالشيخ التجاني، فقال: «وأما كيفية التوسل به رضي الله عنه وبجده ﷺ، فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، فصلِّ على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق مائة، واهد ثوابها لرسول الله ﷺ بنية قضاء الحاجة التي تريدها، ثمّ تقول: يا رب توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد ﷺ في قضاء الحاجة التي أريدها مائة مرة. ثم تقول: أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشراً...»(١).

وهم يستدلون بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(٢). ويستدلون بما يروى عن النبي ﷺ أنّه قال: «توسلوا بجاهي، فإنّ جاهي عند الله عظيم». قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يخلق الله جاهاً أعظم من جاه النبي ﷺ(٣).

المناقشــة:

١- إنَّ هذه الآية لا دلالة فيها على أنّ المقصود بالوسيلة هو النبي ﷺ، فهي دليل في غير محل النزاع.

٢- إنّ الوسيلة التي وردت في الآية بمعنى القربة، وهي التقرب إلى الله تعالى

---

(١) «رماح حزب الرحيم» (١/ ٢٦٥).

(٢) سورة المائدة:الآية ٣٥.

(٣) «بغية المستفيد» (١٢٥).

بالأعمال الصالحة، كالصلاة وسائر الطاعات. وهذا المعنىهو الذي اتفق عليه الأئمة من المفسرين[1].

٣- إنّ هذا الحديث مكذوب على النبي ﷺ، فقد أورده شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ: «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإنّ جاهي عند الله عظيم»، ثمّ قال: «وهذا الحديث كذب، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها»[2].

مذهب أهل السُّنّة والجماعة وحكم التوسل:

التوسل عند أهل السُّنّة والجماعة ينقسم إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل محرم ممنوع.

١- التوسل المشروع، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وهذا ثابت في الكتاب والسُّنّة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[3].

ب ـ التوسل بالأعمال الصالحة، وهو ثابت بالكتاب والسُّنة. أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[4]. وأما السُّنّة، فما روى عن ابن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعلّه يفرجها**... الحديث»[5].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٢) طبعة دار إحياء الكتب العربية، «تفسير القرطبي» (٦/ ١٥٩).

(٢) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (١٣٢) ط السلفية.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٥) رواه البخاري، «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١٠/ ٤٠٤).

ومن التوسل المشروع بالأعمال الصالحة التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه في رسالته وطاعته، والتوسل بمحبة الصالحين وتوقيرهم وإجلالهم، وأن يدعو الله سبحانه بإضافته إلى عباده الصالحين، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «اللهم **رب جبريل وميكائيل وإسرافيل... الحديث**»[1].

ومن التوسل بالأعمال الصالحة، التوسل بالصلاة على النبي ﷺ، ومن ذلك ما ورد في حديث أبي بن كعب في فضل الصلاة على النبي ﷺ، وفيه قال: «**إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك**»[2].

جـ - التوسل بدعاء النبي ﷺ لمن توسل به في حياته، وكذا التوسل بدعاء الصالحين، ومنه قول عمر رضي الله عنه: «اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[3]. فإنهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ في حياته، ثمّ توسلوا بدعاء العباس بعد وفاته.

٢- وأما التوسل المحرم الممنوع، فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ - أن يكون بذات الشخص المتوسل به، سواء كان النبي ﷺ أو غيره، وهذا النوع شرك بالله تعالى.

ب - أن يكون بجاه الشخص المتوسل به، سواء كان النبي ﷺ أو غيره، وهذا النوع بدعة مذمومة.

جـ - أن يقسم على الله بالمتوسل به، كأنه يقول: اللهم إني أقسمت عليك

---

(١) رواه مسلم، «صحيح مسلم مع شرح النووي» (٦/ ٥٦، ٥٧).

(٢) رواه الترمذي، «جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي» (٧/ ١٥٣، ١٥٤)، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه الفتح» (٢/ ٤٩٤).

بفلان أن تشفي مريضي، أو تقضي حاجتي، ونحو ذلك، فهذا النوع محرم؛ وذلك لأنّ الإقسام بالمخلوق شرك، وقد قال النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك**»[1].

ومن هنا يتبين أنّ من توسل بذوات الأنبياء والمشايخ واستغاث بهم على الله، فقد أشرك مع الله غيره. ومن توسل بجاه أحد منهم، فقد ارتكب بدعة محرمة، جنبنا الله وإيَّاكم مواطن الزلل والسوء.

رابعاً: الغلو في حق النبي ﷺ وفي التجاني واعتقاد أنهم أرباب مع الله:

إنَّ عقيدة الغلو في حق النبي ﷺ والمشايخ موجودة لدى كثير من المبتدعة والصوفية.

والتجانيَّـة ممن يقعون في الشرك في الربوبية، فيعتقدون أنّ النبي ﷺ أو التجاني يعطي ويمنع، ويشفي ويمرض، ويجيب دعاء المضطر، وغير ذلك. قال مؤلف كتاب رماح حزب الرحيم نقلاً عن التجاني: «إنّ روح النبي ﷺ وروحي هكذا (وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها)، فروحه تمد الأنبياء، وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء»[2].

قال مؤلف «الدرة الخريدة»: «... ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته بموته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ، وأساء الأدب معه، ويخشى عليه أن يموت كافراً إن لم يتب من هذا الاعتقاد...»[3].

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. «جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي» (٥/ ١٣٥، ١٣٦).

(٢) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ١٤٢).

(٣) «بغية المستفيد» (٢٢٥).

وهم يستدلون على ذلك بقول الرسول ﷺ: «**إنما أنا قاسم والله معطي**»[1].

المناقشـــة:

١- إنّ هـذا المعنى الـذي ذكروه، وهو أنّ النبـي ﷺ واسطـة بيـن الله وبين خلقه، وأنّه قاسم ما يقع في ملك الله من الخير والشر بمنزلة العبد مع الملك، باطل يرده الكتاب والسُّنّة، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو المتصرف دون من سواه، وهو المالك للضر والنفع: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[3]. فلو كان النبي ﷺ قاسم ما يقع في ملك الله لما رد هؤلاء الصحابة، ولأعطاهم ما يتقوون به على أداء الجهاد في سبيل الله. فالله وحده هو المتصرف، وهو المعطي، وهو القاسم، فله الحكم، وإليه ترجعون.

وفي الحديث «... **واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[4].

٢- إنّ المعنى الصحيح للحديث كما ذكره الأئمة عليهم رحمة الله أنّ الله سبحانه هو المعطي وحده، والرسول قاسم يقسم ما بين يديه من الأموال والغنائم

---

(١) رواه البخاري بلفظ «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١/ ١٦٤، ٦/ ٢١٧).

(٢) سورة الفتح: الآية ١١.

(٣) سورة التوبة: الآية ٩٢.

(٤) رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». «جامع الترمذي مطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي» (٧/ ٢١٩، ٢٢٠).

بينكم، فالله هو المعطي حقيقة. وهذا المعنى هو الذي ذكره البخاري رحمه الله تعالى في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾[1][2]، فهو قاسم لشيء معيّن لا مطلقاً، فليس المعنى أنّه قاسم كلّ ما يقع في ملك الله من خير أو شر، في حياته ﷺ وبعد مماته كما يدعيه التجانيون وسائر المتصوفة المنحرفين.

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وبيان أنّ ذلك من الشرك:

ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنّ الله وحده هو الذي يملك الضر والنفع والهداية والإضلال، وهو وحده الخالق الرازق، المحيي المميت، لا يملك أحد شيئاً من ذلك، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما.

وأما الرسول ﷺ، فعليه تبليغ رسالة ربه ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[3]، وإرشاد الناس إلى طريق الخير والهدى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]، وقد فعل ﷺ، فجزاه الله عن هذه الأمة خير الجزاء.

وأما من جاء بعده من عباده المتقين، فعليهم الإيمان بما جاء به، ودعوة الناس إليه، والمجاهدة في سبيل ذلك، فهذه مهمتهم ليس إلا، ولا يملك أحد من البشر كائناً من كان نفعاً، ولا ضرّاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، بل ذلك كله لله وحده.

والأدلة في كتاب الله وفي سُنّة رسوله ﷺ كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[6]. والله

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٢١٧).

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٩.

(٤) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢٦.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٦٣.

وحده هو المتصرف الذي له الخلق والأمر قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1].

وفي الدعاء المأثور: «... **اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**»[2]، فهو وحده المعطي المانع، فلا أحد يستطيع أن يرد عطاءه سبحانه، ولا أحد يستطيع أن يعطي ما منعه.

وقد اتفق علماء الأمة على أنّ طلب الحوائج من الأموات والاستغاثة بهم، واعتقاد أنهم يمدون الناس بالخير، ويمنعون عنهم الشر، شرك بالله تعالى، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأنبياء.

خامساً: إيمانهم بأن التِّجانيَّ خاتم الأولياء كما أنّ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء:

غالى التِّجانيون في الولي إلى درجة مساواته بالرسول ﷺ، وتفضيله عليه تارة أخرى وإن لم يصرحوا بذلك، كما أنهم قالوا بعقيدة (ختم الولاية) مضاهاة لعقيدة ختم النبوة. قال «مؤلف الجواهر»: «وسألته رضي الله عنه عن حقيقة الولاية، فأجاب رضي الله عنه مما نصه، قال: الولاية خاصة وعامة، فالعامة هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، والخاصة هي من سيد الوجود ﷺ إلى الختم...»[3].

وذكر مؤلف «رماح حزب الرحيم» من أسباب تسميتهم التجانية المحمدية: «... أنّ الله لّما ختم بمقامه مقامات الأولياء، ولم يجعل فوق مقامه إلا مقامات الأنبياء، وجعله القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، والخاتم المحمدي المعلوم»[4] (سميت هذه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٢) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (٢/ ٢٢٥).

(٣) «جواهر المعاني» (٢/ ٨٤)، «الدرة الخريدة» (١/ ٣٠).

(٤) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ١٤٥).

الطريقة بالمحمدية).

وقال مؤلف «بغية المستفيد»: «فقد ثبت عنه من طريق الثقات الأثبات من ملازميه وخاصته، أنّه أخبر تصريحاً على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أنّ سيّد الوجود أخبره يقظة بأنّه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين، وبأنّ مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله...»[1].

ومعنى أنّ التِّجاني خاتم الأولياء عندهم بمعنى أفضلهم، وليس معناه أن لا يأتي بعده ولي، بل قد يأتي بعده أولياء، ولكنهم لا يصلون مرتبته. واستدل التجانيون على أنّ شيخهم خاتم الأولياء بأدلة كثيرة، غالبها حكايات لا تقوم بها حجة، ولا يعتمد عليها في شيء. ومن أقوى أدلتهم الأحاديث التي استدلّ بها الحكيم الترمذي على أنّ هناك خاتماً للأولياء يكون في آخر الزمان، منها حديث: «مثل أمتي مثل المطر، لا يـدرى أوله خير أم آخره»[2].

والرد على هذا من وجوه:

١- إنّ الحديث لا دلالة فيه على أنّ آخر هذه الأمة أفضل من أولها، ولا في أنّ آخرها من هو أفضل ممن في أولها من صحابة رسول الله ﷺ، بل الحديث بلفظ: «**لا يدرى أولها خير أم آخرها**».

٢- إنّ معنى الحديث أنّ في آخر هذه الأمة من يقارب أولها ويشابهه بالخيرية، حتى يلتبس أمره على بعض الناس أيّهما أفضل، وإن كان أحدهما في الواقع وفي نفس الأمر أفضل من الآخر؛ وذلك لأنّ مرتبة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة

(١) «بغية المستفيد» (١٣/ ١٩٤).

(٢) «أقوى الأدلة والبراهين» (٣٦). والحديث رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب، «جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي» (٨/ ١٧٠-١٧٢). ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٥٦)، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٠، ١٤٣) (٤/ ٣١٩).

الرسول ﷺ[1].

٣- إنّ الاستدلال بهذا الحديث على أنّ في آخر الأمة من هو أفضل ممن في أولها من صحابة رسول الله ﷺ مردود بصريح القرآن والسُّنَّة المتواترة، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، وغيرهما. وهو أيضاً مخالف لقول الرسول ﷺ: «خير أمتي قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم...»[4] الحديث، وقوله ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه**»[5][6].

٤- ولو فرضنا جدلاً -مع أنّ ذلك مردود بالكتاب والسُّنّة- أنّ في المتأخرين من هذه الأمة من هو أفضل من المتقدمين، فليس في الحديث دليل على أنّ ذلك الفاضل قد يكون خاتم الأولياء، سواء التجاني أو غيره. وليس فيه دليل على أنّ التجاني أفضل المتأخرين، فضلاً عن أن يكون أفضل المتقدمين والمتأخرين، لا من قريب ولا من بعيد، فهي دعوى مجرّدة عن الدليل، وكلّ دعوى خلت عن الدليل، فهي دعوى باطلة.

٥- إنّ هذه التسمية بخاتم الأولياء باطلة، ليس لها دليل في الكتاب ولا في

---

(١) «فتح الباري» (٧/٧).

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ١٠، ١١.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٠.

(٤) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (٧/ ٣).

(٥) رواه مسلم، «صحيح مسلم مع شرح النووي» (١٦/ ٩٢). ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١١، ٦٤، ٢٦٦).

(٦) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

السُّنّة، ولا في كلام السلف[1]، ولم يذكرها أحد قبل أبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتابه «ختم الولاية»، فزعم أنه يكون في المتأخرين من هو أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما. وهو كلام باطل، يدلّ على ذلك أنّ الحكيم تناقض مع نفسه، وذلك أنّه لما قيل له إن بعض الناس يقول: إنّ الولي يكون منفرداً عن الناس، أبطل ذلك، وقال: يلزم من هذا أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر[2]. وقد هجر ترمذ في آخر عمره بسبب تصنيف هذا الكتاب[3]، وقد تبعه في ذلك ابن عربي الذي زعم أنّ هناك خاتمين للولاية، فهناك خاتم للولاية المحمدية، وهناك خاتم للولاية المطلقة، وهو عيسى عليه السلام[4]. ثمّ تبعه غلاة الصوفية، فكلّ يدعيها لنفسه، فهي مرتبة موهومة لا حقيقة لها[5].

٦- لم يرد في اللغة العربية أنّ كلمة (خاتم) بمعنى أفضل كما فسرها التِّجانيون، قال في «معجم مقاييس اللغة»: «الخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخر الشيء»[6]. وقال في «اللسان»: «... وختام القوم وخاتَمهم وخاتِمهم آخرهم»[7]. وقال في «القاموس المحيط»: «... ومن كلّ شيء عاقبته وآخرته كخاتمته، وآخر القوم كالخاتم»[8].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٦٥) بتصرف.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٢٢).

(٣) «لسان الميزان» لابن حجر (٥/ ٣٠٨) طبع حيدر آباد بالهند سنة ١٣٣١هـ.

(٤) «الفتوحات المكية» (٣/ ١٧٤، ١٧٧) المكتبة العربية، القاهرة سنة ١٣٩٢هـ.

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٢٨).

(٦) «معجم مقاييس اللغة» (٢/ ١٤٥) ط الثانية، «المصباح المنير» (١/ ٧٥) المطبعة العثمانية.

(٧) «لسان العرب» (١٥/ ٥٥).

(٨) «القاموس المحيط» (٤/ ١٠٤).

٧- إنّ خاتم الأولياء هو آخر مؤمن تقي قبل قيام الساعة، ولا يلزم أن يكون أفضل من غيره من الأولياء؛ لأنّه آخرهم، وإنما نشأ هذا الخطأ من قياسهم خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء، فلما كان خاتم الأنبياء أفضلهم، قالوا بأن خاتم الأولياء أفضلهم. وفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء لم يكن لمجرد أنّه خاتم الأنبياء، بل لدلالات أخرى دلت على ذلك[(١)].

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وحكم من اعتقد أنّ التّجاني خاتم الأولياء:

ينحصر معنى الولي في اللغة في القرب والدنو[(٢)]، والولاية بالفتح: النصرة، وبالكسر: الإمارة والخطة. ومعنى الولاية في الاصطلاح عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، وليست بكثرة صيام ولا صلاة ولا تملق[(٣)].

والولاية قسمان:

ولاية كاملة: وهي ما اجتمع فيها الشرطان المذكوران في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(٤)] وهي الإيمان والتقوى.

ولاية ناقصة: وهي ما دون ذلك، فقد يجتمع في المؤمن ولاية من جهة، وعداوة من جهة أخرى.

أما خاتم الأولياء عند أهل السُّنّة، فهو آخر مؤمن تقي في هذا العالم، ولا يلزم من كونه خاتم الأولياء أنّه أفضلهم، بل أفضل الأولياء بعد الأنبياء أبو بكر وعمر، ثم عثمان ثم علي، ثم سائر إخوانهم من السابقين والمجاهدين -عليهم رضوان

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٦٥) بتصرف.
(٢) «معجم مقاييس اللغة» لابن زكريا (٦/ ١٤١). ط الثانية.
(٣) «شرح الطحاوية» (٤٠٤) ط الرابعة.
(٤) سورة يونس: الآيتان ٦٢، ٦٣.

الله-.

قال أبو منصور البغدادي: «أصحابنا مجمعون على أنّ أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثمّ تمام العشرة، ثمّ أهل بدر، ثمّ أحد، ثمّ أهل بيعة الرضوان»[1].

ومن زعم بأنّ التِّجاني خاتم الأولياء بمعنى أفضلهم، فقد خالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ مع ما في هذا الإدعاء من تزكية النفس، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾[3].

(١) «أصول الدين» (٣٠٤) بتصرف، ط أولى.
(٢) سورة النجم: الآية ٣٢.
(٣) سورة النساء: الآية ٤٩.

عقيدتهم في اليوم الآخر

أولاً: في زعم التجاني أنّ النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه الجنة:

ذكر التِّجاني أنّ النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب والمعاصي ما عملوا، قال مؤلف «الجواهر»: «اطلعت على ما رسمه وخطه ونصه... أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، أنا وكلّ أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم له في الإسلام من جهة أبي وأمي، من كلّ تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت عيسى ابن مريم من جميع الذكور والإناث، وكلّ من أحسن إليّ بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر، وكلّ من لم يعاديني من جميع هؤلاء. أمّا من عاداني وأبغضني فلا، وكلّ من ولاني واتخذني شيخاً أو أخذ عني ذكراً، وكلّ من خدمني أو قضى لي حاجة، وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم... يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ ولجميع هؤلاء أن نموت وكلّ حيّ منهم على الإيمان والإسلام... ثمّ قال: كلّ ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً، إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضماناً لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام... ثمّ قال: وكلّ هذا واقع يقظة لا مناماً»[1].

أما أدلتهم على ذلك: قال محمد الحافظ التجاني: «أمّا دخول الجنة بغير حساب، فقد ثبت في «الصحيحين» حديث السبعين ألفاً[2] ، ووقع في غير

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١٣٠-١٣١)، (٢/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (١١/ ٤٠٦).

الصحيحين أنّ مع السبعين ألفاً زيادة عيلهم». قال محمد الحافظ: «وفي حثية من حثيات الحق، يدخل التجاني وأحبابه وأصحابه وأكثر منهم، اللهم إلا إن اجترأ مفتر على الله فحدها بحد أو قدرها بقدر، لا دليل فيه إلا رأي سخيف ما أنزل الله به من سلطان»[1].

المناقشـــة:

١- إنّ الاستدلال بهذا الحديث ليس في محله؛ إذ غاية ما فيه أن أناساً من أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وليس فيه دليل على ضمان الجنة لأحد معيّن.

٢- إنّ القول بخصوصية ضمان الجنة بغير حساب ولا عذاب للتجانيين، قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سُنّة، وكلّ دعوى خلت من الدليل فهي باطلة.

٣- إنّ العلماء قد اختلفوا في هؤلاء السبعين ألفاً، فمنهم من قال: إنهم من أهل البقيع، لحديث أم قيس رضي الله عنها قالت: «لو رأيتني ورسول الله ﷺ آخذ بيدي في سكة من سكك المدينة مما فيها بيت حتى انتهى إلى بقيع الغرقد، فقال لي: يا أم قيس، يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»[2]. وأكثر أتباع التجاني من أهل أفريقيا الخضراء ممن لم ير المدينة، فكيف يدفن فيها فضلاً عن البقيع[3].

وقيل إن هؤلاء السبعين ألفاً هم الذين تساوت سيئاتهم وحسناتهم، وهذه صفة عامة تشمل من تساوت حسناتهم وسيئاتهم من التجانيين وغيرهم. وقيل:

---

(١) «الانتصاف في رد الإنكار على الطريق» (٢٢، ٢٣) الحلقة الثالثة.

(٢) «مشتهى الخارف الجاني» (١١٣).

(٣) «مشتهى الخارف الجاني» (١١٤).

إنهم المتصفون بالصفات المذكورة في الحديث: «**كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[1]. وهو القول الصحيح؛ لأنّ النبي ﷺ فسرهم بذلك، ولا ينبغي العدول عن قوله ﷺ إلى أقوال لا تقوم بها حجة.

٤- قول محمد الحافظ: «وفي حثية من حثيات الحق، يدخل التجاني وأحبابه وأصحابه وأكثر منهم». قلت: وهذا القول مغالطة مكشوفة، وتعليق للأمر بقدرة الله تعالى، وقدرة الله تعالى متعلقة بكلّ شيء، فهو سبحانه وتعالى قادر على أن يدخلهم الجنة، كما هو قادر على أن يدخلهم النار، فللّه سبحانه القدرة التامة على كلّ شيء. واستدلّ محمد الحافظ على ضمان كونهم مع النبي ﷺ في أعلى عليين بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2]، وبما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «... **إنّ في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنّه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه قال ـ ومنه تفجر أنهار الجنة**»[3].

قال محمد الحافظ: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطلعت على أنّ الله لم يستجب له»[4].

المناقشة:

١- إنّ الآية والحديث كلاهما دليل في غير موضع الاستدلال، فالآية تدلّ على أنّ من أطاع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

---

(١) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١١/ ٤٠٦).
(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.
(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (٦/ ١١).
(٤) «الانتصار في رد الإنكار على الطريق» (٢٣).

والصديقين والشهداء. وهذا المعنى لا يماري فيه مسلم بتدبر كتاب الله تعالى، ولم تشر الآية من قريب ولا من بعيد إلى ضمان حصول هذه المعيّة للتجاني وأتباعه. وما يقال في الآية يقال في الحديث، إذ ليس فيه دلالة على ما أرادوا من ضمان الفردوس له ولأتباعه، إنما فيه توجيه العباد إلى سؤال ذلك طمعاً في فضل الله ورضوانه.

٢- قال محمد الحافظ: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطلعت على أنّ الله لم يستجب له؟» قلت: ولو سأل ذلك له ولأصحابه، لما اعترض عليه، فكلّ عبد من عباد الله له أن يسأل الله تعالى بما شاء متى شاء. ولكن ما ذكره التجاني لم يكن مجرد سؤال ودعاء، بل صرَّح في أكثر من موضع وفي أكثر من كتاب بأنّ النبي ﷺ ضمن لهم دخول الجنة، ومعنى الضمان في اللغة الكفالة والالتزام[1]. فلو كان ما قاله مجرد دعاء يحتمل الإجابة أو عدمها، لما اعترض عليه، ولكنه صرَّح بالضمان، فوجب الإنكار عليه.

٣- إنَّ هذا الرجل ضمن لأصحابه ما لم يضمنه ﷺ لقرابته وأحب الناس إليه، ففي البخاري أنّ أبا هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ حين أنزل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[2]، قال: «**يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا لأنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[3]. فهذا رسول الله ﷺ صاحب الشفاعة العظمى قد بيّن لأقاربه أنّ مجرّد

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٣٧٢) الطبعة الثانية.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (٨/ ٥٠١).

قرابتهم منه لا تغني عنهم من الله شيئاً، بل لا بدّ من الإيمان الصحيح والعمل الصالح، فأين هذا من ضمان التجاني لأصحابه الجنة وإن عملوا من المعاصي ما عملوا، بشرط ألا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة، وبدوام محبتهم له بلا انقطاع إلى الممات... هذا الزعم يدلّ على أنّه أوتي ما لم يؤت رسول الله ﷺ، وهذا ما لا يقرّه عليه شرع ولا عقل ولا عرف»[(١)].

وقول التجاني «ومن أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريقة، أو عمن أذنته يدخل الجنة... بلا حساب ولا عقاب... الخ»، يدلّ على أن من قرأ هذا الورد، دخل الجنة بغير حساب ولا عقاب. وهذا المقام لم يحصل لحاملي القرآن، بل دلّ الكتاب والسنّة على أنّ كثيراً من حملة القرآن يدخلون النار، بل إنّ بعض حملة القرآن من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، كما صحّ ذلك عن المصطفى ﷺ[(٢)].

وقول التجاني بضمان الجنة لأتباعه ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، تشجيع لهم على مقارفة المعاصي والذنوب، فما دام شيخهم قد ضمن لهم الجنة ولو عملوا من المعاصي ما عملوا، فماذا يمنعهم من ذلك؟ وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة الإسلامية من أمر الناس بالطاعات، ونهيهم عن المعاصي؛ ليكونوا بين الخوف والرجاء... والله أعلم.

مذهب أهل السنَّة والجماعة إلى أنّه لا يجوز القطع لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار، وإنما يرجى للمحسن ويخاف على المسيء:

للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

---

(١) «مشتهى الخارف الجاني» (١٢١-١٢٢).

(٢) «صحيح مسلم مع شرح النووي» (١٣/ ٥٠، ٥١)، «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٣٢٢).

١- أنّه لا يشهد لأحد بالجنة إلا للأنبياء عليهم السلام، وهذا ينقل عن محمد ابن الحنفية والأوزاعي[1].

٢- أنّه لا يشهد لأحد بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ، كالعشرة المبشرين بالجنة، وبعض الصحابة[2].

٣- وأما ما لم يشهد له النبي ﷺ بالجنة، فاختلف فيه العلماء على قولين:

أ ـ أنه لا يشهد له بالجنة مطلقاً.

ب ـ أن يشهد بالجنة لمن استفاض بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه، كعمر بن عبدالعزيز، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، ومالك، وأحمد، والشافعي، وغيرهم رضي الله عنهم[3].

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة عدم جواز القطع لأحد معيّن بجنة أو نار إلا بنص من الشارع. وإنما القطعي أن يقال: إنّ من مات على الإيمان الصحيح، فهو من أهل الجنة، وأنّ الخواتيم لا يعلمها إلا الله[4].

ولقد شنع العلماء على من قال بمثل هذا القول؛ لما فيه من الجراءة على الله، وادعاء معرفة الغيب، إذ الخواتيم بيد الله، لا يعلمها إلى هو، فمن مات على الإيمان الصحيح، دخل الجنة. وقد بيّنا فيما سبق أنّ من ادعى علم الغيب، فقد كفر.

ثانياً: في قول التِّجاني (من رآني دخل الجنة):

---

(١) «شرح الطحاوية» (٤٢٦) ط الرابعة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١٨، ٥١٩).

(٤) «شرح الطحاوية» (٤٢٦، ٤٢٧).

ورد هذا القول في كثير من كتب التِّجانية القديمة والحديثة، ومن أمثلة ذلك ذكر مؤلف «جواهر المعاني» أنّه قال: «... من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والإثنين، يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، إن لم يصدر منه سب في جانبنا ولا بغض ولا أذية. ومن حصل له النظر في هذين اليومين، فهو من الآمنين إن مات علىالإيمان. وإن سبق أنّه يحصل له العذاب في الآخرة، فلا يموت إلا كافراً، فهذا يمكن إعلامكم به في هذا الوقت، وفي وقت آخر يفعل الله ما يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

والتِّجانيون يؤمنون بذلك ويصدقونه، قال مؤلف كتاب «رماح حزب الرحيم»: «... رأيت شيخنا التِّجاني رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنَّا به ـ في واقعة من الوقائع وبيده حلّة من نور، وقال لي رضي الله عنه وأرضاه ـ وعنَّا به ـ: من رأى هذه الحلّة، دخل الجنة، ثمّ ألبسني إياها رضي الله عنه»[2].

قلت: هذا الكلام لغو لا فائدة فيه، إذ لا مزيّة لرؤية التجاني يوم الجمعة أو الاثنين؛ لأنّ من مات على الإيمان، فهو من أهل الجنة؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، سواء رأى التجاني أم لم يره.

وقول مؤلف «حزب الرحيم» فيما يرويه عن شيخه «من رأى هذه الحلّة دخل الجنة»، فهو أكثر تهافتاً من قوله «من رآني دخل الجنة»؛ إذ لا يعضده دليل في شرع ولا عقل، وما خلا من الدليل، فهو مردود على صاحبه.

ويستدلّ التِّجانيون على أنّ من رأى شيخهم دخل الجنة بقول النبي ﷺ «لا تمس النار مسلماً رآني»، رواه الترمذي. قال محمد الحافظ: «وقد كان السلف

---

(١) «جواهر المعاني» (٢/ ١٨٠).

(٢) «رماح حزب الرحيم» (١/ ١٨٢).

يحملونه على ظاهره، ويرجون ذلك الفضل». قال طلحة: «فقد رأيت جابراً». وقال موسى: «قد رأيت طلحة». قال يحيى: «وقال لي موسى: وقد رأيتني، ونحن نرجو الله» ا.هـ.

قال محمد الحافظ: «ونحن نرجو الله معشر التجانيين، وصحّ عنه ﷺ أنّه قال: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي**»[1]، فمن رآه في المنام فقد رآه»[2].

المناقشة:

١- إنّ هذا الحديث محل نظر، فالحديث لم يرد إلا في جامع الترمذي، وقال فيه الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم الأنصاري»[3]. وموسى بن إبراهيم ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال عنه: «وكان يخطئ»[4]. وقد روى موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش، وقد قال الحافظ ابن حجر في ترجمته: «قال الأزدي: طلحة روى عن جابر مناكير، وذكره أبو موسى في «ذيل معرفة الصحابة»، وبيّن أنّ حديثه مرسل»[5]. وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» في ترجمة طلحة بن خراش: «قال الأزدي له ما ينكر»[6].

٢- إنَّ محمداً الحافظ التجاني قد بيّن وجه الدلالة بقوله: «ونحن نرجو الله معشر التجانيين...»، فلو كان ذلك مجرد دعاء لهان الأمر، فكلّ مسلم يرجو الله أن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «الانتصاف في رد الإنكار على الطريق» (٢٤) الحلقة الثالثة، الطبعة الثانية.

(٣) «جامع الترمذي المطبوع مع شرحه تحفة الأحوذي» (١٠/ ٣٦٠، ٣٦١).

(٤) «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٠/ ٣٣٣).

(٥) «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٥).

(٦) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٣٨).

يدخل الجنة، ويبعده عن النار. ولكنّ شيخهم صرَّح في أكثر من موضع بأنّ من رآه دخل الجنة، وهذا هو محل الخلاف، فصرفه إلى مجرد الدعاء مغالطة مكشوفة. أمّا قوله: «وصحّ عنه ﷺ أنّه قال: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي**»، فمن رآه في المنام فقد رآه، فهذا صرف للرؤية المذكورة في الحديث بأنها كما تكون للصحابة والتابعين في اليقظة، فإنّها تكون لمن بعدهم في المنام. وهذا التفسير باطل من وجهين:

أ ـ أنّ هذا التفسير صرف للحديث عن معناه المتبادر للذهن إلى معنى بعيد لا دليل عليه.

ب ـ أنّ الرؤية المذكورة هي رؤية اليقظة، ويدلّ على ذلك تفسير طلحة ابن خراش لها، وهو من التابعين.

٣- أنّ هذا الحديث خاص برؤية النبي ﷺ، ورؤية من يراه من الصحابة دون سائر المسلمين، كما فسره بذلك الترمذي، كما هو واضح من تبويبه (باب فضل من رأى النبي ﷺ وصحبه)[١]. في ذلك يقول الشيخ محمد صديق حسن الهندي: «ظاهر الحديث تخصيص الصحابة والتابعين بهذه البشارة، وليس في لفظه ما يدلّ على شمول سائر المسلمين إلى يوم الدين، بل قصَّر تبع التابعين أيضاً عن الدخول فيه. والحديث أفاد أنّ البشارة خاصّة بمن رأى الصحابي، فمن لم يره وكان في زمنه، فالحديث لا يشمله، والله أعلم»[٢]. فمن أين للتجانيين نقل هذا المعنى وتطبيقه على شيخهم؟، وعلى فرض عمومه لسائر المسلمين، فمن أين للتجانيين تخصيصه برؤية شيخهم دون من سواه من المسلمين؟.

(١) «جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي» (١٠/ ٣٦٠).
(٢) «الدين الخالص» (٣/ ٥٢٠) لمحمد صديق حسن، مطبعة المدني بالقاهرة.

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وحكم من اعتقد ذلك:

بينا في المبحث السابق حكم العلماء على من قال بمثل هذا القول؛ لما فيه من الافتراء والجراءة على الله عز وجل، كما بينا أنه لا يشهد لمعين بجنة أو نار إلا ما ثبت بالنص. وقد روى البخاري بسنده، قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أنّ أم العلاء -امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ-أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة، فطار لنا[1] عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعة الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك أنّ الله قد أكرمه؟**»، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟، فقال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري ـ وأنا رسول الله ـ ما يفعل بي**». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً. وفي رواية: «ما يفعل به»[2].

قال ابن كثير تعليقاً على الرواية الثانية: «وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ». ثمّ قال: «وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نصّ الشارع على تعيينهم، كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبدالله بن عمر وابن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم»[3].

كما أنّ في هذه الأقوال ادعاء لعلم الغيب، إذ الخواتيم بيد الله لا يعلمها إلا هو، وقد سبق أن بيّنا أنّ من ادعى علم الغيب فقد كفر.

---

(١) فطار لنا: أي وقع لنا في سهمنا، قال ابن حجر في «الفتح»: «وذكره بعض المغاربة بالصاد: فصار لنا، وهو صحيح من حيث المعنى إن ثبتت الرواية». «فتح الباري» (٣/ ١١٥).

(٢) رواه البخاري، «صحيح البخاري المطبوع مع شرحه فتح الباري» (٣/ ١١٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٥).

ثالثاً: بعض الفضائل التي يعتقد التجانيون أنهم مخصوصون بها دون الناس فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر:

يعتقد التِّجانيون أنّ الرسول ﷺ خصّهم بمجموعة من الفضائل، منها ما يجوز التصريح به، ومنها ما ينبغي كتمه. وقد خصوا بهذه الفضائل من أجل اتباعهم للشيخ ومحبتهم له، لا من أجل سبب آخر، كما صرَّح بذلك مؤلف «رماح حزب الرحيم»، فقال: «وأخبرني رضي الله عنه وأرضاه -وعنَّا به- عن سبب الفضل الذي كان في أذكاره، فقال رضي الله عنه وأرضاه -وعنَّا به-: لأجلي»[1].

وقال مؤلف «الرماح»: «... فاعلم وفقني الله وإياك لنيل هذا الخير العظيم والفوز العميم أنّ الله تعالى بفضله وكرمه تفضل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم بأمور ضمنها له جده ومحبه وحبيبه سيّد الوجود، وعَلَم الشهود سيدنا ومولانا محمد ﷺ يقظةً لا مناماً، وأكثر تلك الأمور لا يحلّ ذكره ولا إفشاؤه، ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة»[2].

الرد على دعوى اختصاص التِّجانيِّين وحدهم بهذه الفضائل:

يدعي التِّجاني أنّ هذه الفضائل خاصة به وبمن أحبه، او دخل في طريقته دون سائر المسلمين، أنّ هذا الفضل لم يحصل لهؤلاء الأتباع إلا من أجل محبتهم له. وهذه الفضائل لا تخلو من أحد احتمالين: إما أن تكون خارجة عن شريعة محمد ﷺ، وإما أن تكون داخلة فيها؛ فإن كانت خارجة عن شريعة محمد ﷺ فلا نقاش. وإن كانت داخلة فيها، فإنّ شريعة محمد ﷺ جاءت عامة للجن والإنس، والعرب والعجم، ولم يخص فيها أحد بفضل لمجرد أنّه من أتباع فلان أو فلان، ومن ادعى

(١) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ٤٠).
(٢) «رماح حزب الرحيم» (٢/ ٤١).

ذلك فعليه الدليل.

ومما يدلّ على بطلان ذلك ما يلي:

١ - انّ دعوى اختصاص التجانيين بهذه الفضائل دون سائر الناس أمر لا دليل عليه، وكلّ ما استدلوا به أنّ النبي ﷺ أخبر التّجاني بذلك يقظةً لا مناماً. وقد سبق أن بينا بطلان ذلك شرعاً وعقلاً، ولما ادعى اليهود والنصارى أنهم يدخلون الجنة من دون الناس - وهي قريبة من دعوى التجانيين، طالبهم الله سبحانه تعالى بالدليل، حيث قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]. فبيّن سبحانه أنّ دخول الجنة لا يتحقق بمجرد الدعاوى والأماني الكاذبة، كمحبة الشيخ أو أخذ ورده، إنما يتحقق بشرطه، وهو الإيمان والعمل الصالح.

٢- أنّ دعوى تخصيص النبي ﷺ التّجانيين ببعض الفضائل دون غيرهم مناقضة لكثير من آيات الكتاب العزيز، ولكثير من الأحاديث الصحيحة الدالّة على عموم الرسالة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2]، وقال جلّ من قائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3]. وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[4]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٤) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرح فتح الباري» (١/ ٤٣٥، ٤٣٦).

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردّاً على من ادعى أنّ العرب خصّوا ببعض الأحكام دون غيرهم من سائر الناس، قال: «... والمقصود هنا أنّ دعوة محمد ﷺ شاملة للثقلين الإنس والجن على اختلاف أجناسهم، فلا يظن أنّه خصّ العرب بحكم من الأحكام أصلاً، بل إنما علق الأحكام باسم مسلم وكافر، ومؤمن ومنافق، وبر وفاجر، ومحسن وظالم، وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن والحديث»[١].

٣- ثمّ إنّ هذا مع ما فيه من مناقضة للكتاب والسُّنّة، فإنّه أيضاً تخصيص لعمومهما، والتخصيص نسخ لبعض الأفراد التي يشملها الحكم. وقد أجمع علماء الأصول أنّه لا يخص الكتاب إلا بالكتاب والسُّنّة؛ لأنه استثناء، فلا يجوز أن يكون إلا لمن له الأمر والنهي تبارك وتعالى[٢].

٤- وأخيراً فإنّ هذه الفضائل التي ذكرها التِّجاني كما هي عارية عن الحجة والدليل، فهي حكم بالشهوة والهوى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٣].

فتقدير الثواب والعقاب ليس له مصدر سوى الوحي، فمن رتَّب على عمل ثواباً أو عقاباً من عند نفسه ونسبه إلى الشريعة، فقد أعظم على الله الفرية.

٥- وأما قوله: «بأنّ هذه الفضائل حصلت لأتباعه من أجله، لا من أجل سبب آخر»، فهي أسخف من أن يرد عليها، فهذا محمد بن عبدالله ﷺ لم يضمن لأقرب الناس إليه شيئاً مما زعم التِّجاني أنّه ضمنه لأصحابه، كدخول الجنة، أو النجاة من عذاب القبر، وإنما علَّق ذلك على أعمالهم. فالناس أمام شرع الله سواسية، فمن رعى محارم الله واجتنب نواهيه، دخل الجنة، كائناً من كان، ولو كان

---

(١) «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢١٩)، «الهدية الهادية» (٨٨).

(٢) «الهدية الهادية» (٨٨).

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

أقلّ الناس شأناً في نظر الناس. ومن عصى الله، دخل النار ولو كان عم رسول الله ﷺ أبا لهب ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. فإذا كان النبي ﷺ سيِّد ولد آدم لم ينفع أقرب الناس إليه لمجرد القرابة، فكيف بالتجاني؟، تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

بدعهم في الأدعية والأذكار

للتِّجاني مجموعة كبيرة من الأوراد والأذكار المبتدعة، منها ما هو لازم لمن دخل الطريق، ومنها ما هو اختياري. ومجملها فيما يلي:

أولاً: الأوراد اللازمة:

(أ) الورد: ويقرأ صباحاً ومساءً، وهو:

١- أستغفر الله (مائة مرة).

٢ - الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة (مائة مرة).

٣- الكلمة المشرفة لا إله إلا الله (مائة مرة).

ولا بدّ من الترتيب في الأوراد[١].

(ب) الوظيفة: ويقرأ في اليوم مرة، إما صباحاً وإما مساءً، فإن قُرِئت في الوقتين كان أفضل، وهي:

١- أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم (ثلاثين مرة).

٢- ثمّ صلاة الفاتح لما أغلق (خمسين مرة).

٣- ثمّ لا إله إلا الله (مائة مرة).

٤- ثمّ جوهرة الكمال (اثنتي عشرة مرة).

ومن شروط قراءة جوهرة الكمال عندهم:

---

(١) «أحزاب وأوراد التجاني» (٨) الطبعة الخامسة.

١- أنها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية؛ لأنّ النبي ﷺ والخلفاء الأربعة -على زعمهم- يحضرون عند قراءة السابعة منها. وينوب عن جوهرة الكمال عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضئ.

٢- وجود الفراش الطاهر الذي يسع ستة أشخاص؛ لأن النبي ﷺ يحضر والخلفاء الأربعة معه[١].

(د) ذكر الجمعة:

من الأوراد اللازمة في الطريقة ذكر (لا إله إلا الله) ساعة أو أكثر، متصلة بغروب الشمس بعد صلاة العصر يوم الجمعة، ولا يشترط التقيد بعدد، فإن لم يتمكن من الذكر ساعة، ذكرها من ألف إلى ألف وستمائة، ولا بد من اتصال الذكر بالغروب، سواء بعدد أو بغير عدد، فقد ورد أنّ الصحف تعرض على الحق سبحانه في كلّ أسبوع، فيكون آخر الصحيفة لا إله إلا الله، وأولها لا إله إلا الله[٢]، ويشترط فيها ما يشترط في جوهرة الكمال[٣]. ومن هذه الأوراد: صلاة الفاتح لما أغلق، جوهرة الكمال.

ثانياً: الأوراد الاختيارية:

وهي كثيرة جدًّا، نذكر منها:

١- ياقوتة الحقائق ٢- الصلاة الغيبية

٣- الحزب السيفي ٤- حزب البحر

٥- الأسماء الإدريسية ٦- استغفار الخضر

---

(١) «أحزاب وأوراد التجاني» (١٠)، «الدرة الخريدة» (٣/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٢) «أحزاب وأوراد التجاني» (١٠، ١١).

(٣) «الدرة الخريدة» (٣/ ٢٠٠).

٧- دعاء لرؤيته ﷺ يقظة بعد موته ٨- صلاة رفع الأعمال

٩- المسبعات العشر ١٠- دعاء في قوت القلوب[(١)]

ويشترط فيها الإذن الخاص من الشيخ، أو من يقوم مقامه[(٢)].

الأدلة والمناقشة:

الشبهة الأولى:

قال مؤلف «بغية المستفيد»: «إنّ حقيقة هذه الأوراد عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشايخ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[(٣)]، ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[(٤)] ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[(٥)]، وهذه الآيات الثلاث هي أصول الأوراد من زمان النبي ﷺ إلى يومنا هذا»[(٦)].

المناقشة:

قوله: «أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ»، فإنّه لا واسطة بين الله تعالى وهذه الأمة سوى نبينا محمد ﷺ، فهو واسطة بين ربه وأمته في تبليغ الرسالة ونشر الدين، فلم يمت النبي ﷺ إلا وقد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وأكمل الله به الملة. أما بعد وفاته، فقد انقطع الوحي عن أمته. فمن ادعى أنّ بينه وبين الله واسطة من شيخ أو غيره، يتلقى عنه ما لم يأذن به الله من الدين، فقد

---

(١) «الدرة الخريدة» (٤/ ١٥٥، ١٧٤).

(٢) «أحزاب وأوراد التجاني» (٢٢).

(٣) سورة المائدة: الآية ١.

(٤) سورة الصف: الآية ٣.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٦) «بغية المستفيد» (١٢١، ١٢٢).

أعظم على الله الفرية، وخالف نصوص الكتاب والسُّنَّة.

وما استدلوا به من آيات يأمر بها الله تعالى عباده المؤمنين بوفاء العقود، وأن لا تخالف أفعالهم، وأن يكونوا صادقين مع الله فيما عاهدوا عليه، فهي حق وصدق، إلا أنها دليل في غير محل النزاع؛ إذ التقييد بالورد في وقت خاص وعلى هيئة مخصوصة لا يثبت إلا بنص صريح، ولا يثبت بعمومات تدلّ على معان كليّة، فأين أدلة هذه الأوراد في الكتاب والسُّنَّة؟.

الشبهة الثانية:

قال محمد الحافظ التِّجاني: «أذكار أهل الطريق مرجعها الكتاب والسُّنَّة، هل لا إله إلا الله، والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ لم يشرعها الله ولا رسوله، ولا أصل له في شرع الله؟، وأيّاً كانت الصفة أو الهيئة التي يذكر بها الشخص، والله تعالى يقول: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾[1]، أي اذكروا الله على سائر أحيانكم. وفي الحديث: «أنّه ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، رواه مسلم[2]، وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها»[3].

المناقشة:

إنّ هذا القول مشتمل على حق وباطل، فلا شكّ أنّ ذكر الله سبحانه وتعالى، والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ مشروعة في دين الله، إذ ورد الأمر بذكر الله في آيات وأحاديث كثيرة، منها ما استدلّ به التِّجانيون أنفسهم.

وما استدلّ بها التِّجانيون دليل على الوجه المشروع فيها دون المبتدع، فالوجه

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٢) رواه مسلم، «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ٦٨).

(٣) رسالة «علماء تزكية النفس» (٨، ٩).

المبتدع فيها هو تعيين هذه الأوراد والصلوات والأدعية بالأوقات المخصوصة، والكيفيات المعينة، والشروط المقررة، واتخاذها شعاراً، والمحافظة عليها، مع إهمال وهجر ما ورد عن سيد المرسلين من أدعية وأذكار، فمثلاً قوله: «لا إله إلا الله» في آخر ساعة من يوم الجمعة فيها الجانبان المذكوران.

فذكر الله سبحانه وتعالى، والإكثار من لا إله إلا الله، أمر مشروع مستحب، لكن تخصيص عصر يوم الجمعة بهذا الذكر وتحديده بقبيل الغروب بساعة تقريباً، واشتراط أن يكون متصلاً بالغروب، وأنّه لا يصح إلا بالطهارة المائية، وكونه بهذا الشكل الجماعي، كلّ هذا لا دليل عليه، فهو بدعة محرمة.

الشبهة الثالثة:

قال محمد الحافظ: «ألم يثبت أنّ النبي ﷺ أقر الصحابة علىما ذكروه من أدعية أو أذكار أو غيرها، بل وأثابهم عليها؟. ثمّ قال: وليس من الممنوع شرعاً أن تدعو الله بما تشاء، فقد قال ﷺ: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم...** »[1] الحديث، إجازة من الشارع للأمة أن يدعوا ربهم بما يشاءون بهذا الشرط... فمن زعم أنّ الدعاء بغير ما دعا به النبي ﷺ لا يجوز، فقد خالف ما عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وهو أعلم بالدين من ملء الأرض من أمثاله، وخالف ما عليه التابعون وتابعو التابعين والأمة المحمدية. وقد ثبت في «الصحيح» أنّ سيدنا عمر جمع الناس في قيام رمضان، ثمّ قال: نعمت البدعة هذه[2]، والتي ينامون عنها أفضل، يريد قيام آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله»[3].

---

(١) رواه مسلم، «صحيح مسلم مع شرح النووي» (١٧/ ٥٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه المطبوع مع شرح فتح الباري» (٤/ ٢٥٠).

(٣) رسالة «علماء تزكية النفس» (٩، ١٢).

المناقشة:

إن هناك فرقاً بين إقرار النبي ﷺ لأصحابه على بعض الأدعية والأذكار، وبين هذه الأوراد والأذكار المبتدعة، فإنّ الصحابة لم يتخذوها شعاراً يستقلون بها عن المسلمين، وإنما هي أدعية وأوراد فرديّة لم تتخذ شكلاً وطابعاً معيناً يلتزم بها جماعة من الناس يعرفون بها دون سائر المسلمين.

ثمّ إن أذكار الصحابة وأدعيتهم كانت مجردة من هذه الشروط والكيفيات، فلم يخصصوا أوقاتاً لأدعيتهم دون ما خصصه الله ورسوله، ولم يشترطوا لها شروطاً خارجة عن الشريعة الإسلامية، ككونها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية، أو بإذن الشيخ، أو غير ذلك من الشروط، ولم يرتبوا عليها من الثواب غير ما ذكره النبي ﷺ.

وما استدلوا به مما ثبت في «الصحيح» أنّ سيدنا عمر جمع الناس في قيام رمضان على قارئ واحد، ثمّ قال: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل»، يريد قيام آخر الليل، مردود؛ لأنّ ما فعله عمر إحياء لسنة فعلها رسول الله ﷺ، وليس من قبيل البدع المخترعة. وبيان ذلك:

١-أنّ الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها يدلّ على أنها سنة، فقد روى عروة أنّ عائشة أخبرته أنّ رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى صلاته. فلما كانت الليلة الرابعة، عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر، أقبل على الناس فتشهد، ثمّ قال: «**أما بعد فإنّه لم يخف على مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها**»، فتوفي

رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[1]. فهذا الحديث يدلّ على سنيتها، فإنّ قيامه أولاً يدل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان.

٢- أنّ امتناع النبي ﷺ عن الخروج كان خشية أن تفرض عليهم، وهذا لا يدل على امتناع القيام مطلقاً؛ وذلك لأنّ زمن النبي ﷺ زمن وحي.

٣- أنّ عمر رضي الله عنه لمّا جمع الناس على إمام واحد لم ينكر عليه أحد من الصحابة، بل اتفقوا على صحة ذلك وإقراره.

٤- أنّ عمر رضي الله عنه إنما سمَّاها بدعة بالمعنى اللغوي، لا بالمعنى الاصطلاحي.

وبهذا يتبين أنّ هناك فرقاً كبيراً بين ما فعله عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح، وبين ما يدعيه التجانيون من سنية أورادهم، فهي بدعة بالمعنى الاصطلاحي؛ لما لابسها من شروط وهيئات وكيفيات لم يقم عليها دليل شرعي. ومعلوم أنّ الأمور التعبديّة مبناها على التوقيف، فهي من المسائل التي لا يجوز العمل بها إلا بدليل، ولا دليل فلا عمل.

الشبهة الرابعـة:

واستدلوا علـى تحديـد الأوقات المخصوصة والعدد المخصوص مما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»[2].

قال محمد الحافظ التِّجاني: «وأهل الطريق لم يوجبوا على أحد أخذ طريقهم، ولا الاشتغال بها، وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم اختيارهم، فاستحسنوه ووجدوا

---

(١) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (٤/ ٢٥٠).

(٢) رواه البخاري مع اختلاف يسير في لفظه، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١٠/ ٣١٤).

أنهم يطيقون المداومة عليه بعد أن اختاروه بمحض إرادتهم «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده**»[1]، رواه مسلم في «الصحيح»، ورواه الترمذي. فالمرجع في الكل إلى الشريعة المطهرة.

المناقشـــة:

١- إنّ الاستدلال بهذه الأحاديث في غير محل النزاع؛ وذلك لأن المداومة على نافلة محددة من أحب الأعمال إلىالله تعالى، كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة، لكن بشرط ألا تتخذ شعاراً لطائفة معيّنة بصفة وشروط معينة؛ إذ هي بهذه الحالة تتخذ صفة التشريع. وقد سبق أن بينا أنّ أمور العبادات مبناها على التوقيف.

٢- ما استدلوا به من قول النبي ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده، كتب له أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء...**» الحديث، على أنّ أورادهم من قبيل السنن لا من قبيل البدع، مردود، وبيان ذلك:

أ ـ أنّ معنى الحديث «**من سنّ سنة في الإسلام**»، من أحيا سنة في الإسلام، وليس معناه من اخترع سنة وابتدعها بعد أن لم تكن ثابتة. وأكثر أوراد التِّجانية وما تعلق بها مخترع ومبتدع، فمن قال: إنَّ لا إله إلا الله في عصر الجمعة لا تقرأ إلا بالطهارة المائية؟، ومن قال: إنّ جوهرة الكمال لا تقرأ إلا بالطهارة المائية، وأنّه لا بدّ من وجود فراش عند قراءتها يتسع لستة أشخاص؟، وأنّ سائر الأوراد والأذكار لا بد فيها من إذن الشيخ أو نائبه؟. كلّ هذه الأقوال ليس لها أصل في شريعة الإسلام.

ب ـ مما يؤيد هذا المعنى أنّ التحسين والتقبيح لا يعرف إلا من جهة الشارع،

---

(١) رواه مسلم، «صحيح مسلم مع شرحه النووي» (٧/ ١٠٢، ١٠٤) (١٦/ ٢٢٦).

فوصف النبي ﷺ للسُّنّة بأنها (حسنة)، يدل أنها ثابتة ومشروعة في الأصل، وليست مخترعة[1]. وقول محمد الحافظ: «وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم اختيارهم، فاستحسنوه ووجدوا أنهم يطقيون المداومة عليه»، مردود؛ لأنّ مجرد الاستحسان العقلي ليس دليلاً شرعيًا، كما قال علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه...»[2]. وقد علم أنّ الأحكام الشرعية لا تثبت بالتحسين والتقبيح العقليين، فالحسن ما اعتبره الشارع حسناً، والقبيح ما اعتبره الشارع قبيحاً، والله أعلم.

الشبهة الخامسة:

قال محمد التِّجاني: «والأوراد في هذه الطريقة منذورة ومشروطة بعدم العذر، وقد قال ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»[3]، وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ﴾[4]، ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾[5]»[6].

المناقشة:

١- إنّ قول محمد الحافظ: «والأوراد في هذه الطريقة منذورة»، قول لم يسبق إليه وهو من متأخريهم، إذ قد توفي في عام ١٣٩٨هـ، وكتبهم المعتمدة ليس فيها شيء من ذلك. والتجانيون لا يرون وجوبها عليهم لأنهم نذروا ذلك، بل لأن التِّجاني رواها عن الرسول ﷺ، ورتب عليها من الثواب العظيم ما لا يحصى، وأنّ

---

(١) «الاعتصام» (١/ ١٨٤).

(٢) رواه أبو داود، «سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود» (١/ ٢٧٨).

(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١١/ ٥٨١).

(٤) سورة الإنسان: الآية ٧.

(٥) سورة الحج: الآية ٢٩.

(٦) «رسالة علماء تزكية النفس» (٢٤، ٢٥).

من أخذها ثمّ تركها حلت به العقوبة، ويأتيه الهلاك على حد قولهم، فهذا هو الذي يدعوهم إلى إلتزامها وعدم تركها، لا أنهم نذروها.

٢- ولو سلمنا بأنها منذورة، فما الذي يحمل التجانيين على تخصيصها بالنذر المستمر دون غيرها مما رد عن النبي ﷺ من الأدعية المشروعة؟. ثمّ ان النذر يؤدي إلى أمور منهي عنها، منها:

أ ـ المشقة على النفس بما ليس مشروعاً، فإنّ الله تعالى يسَّر على هذه الأمة، وهو سبحانه يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه.

ب ـ أنّه يؤدي إلى التقصير بما هو أهم وأولى، فإنّ من أوجب على نفسه شيئاً من الطاعات غير ما أوجبه الله عليه، فقد ظلم نفسه؛ لأنّ هذا سيؤدي به إلى التقصير بما هو أهم وأولى مما أوجبه الله عليه. وهذا متحقق عند التجانية، فقد أوجبوا على أنفسهم هذه الأوراد، وانصرفوا عما ورد من أذكار في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والعدول عنها إلى أوراد المشايخ مزلق خطير.

جـ ـ اتهام الشريعة بالنقص، فإنّ مثل هذه الأعمال من أسباب الغلو في الدين، كما وأنّ فيها اتهام لشريعة الله بالنقص، وجعل ما ليس من الشريعة داخلاً فيها، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[1].

فإن قال قائل إذن القيام بهذه الأوراد من باب الإباحة، لا من الوجوب أو الاستحباب، فالجواب: أنّ المباح هو ما لا يترتب على فعله ثواب، ولا على تركه عقاب. وأنتم ترتبون على هذه الأوامر من الثواب الشيء العظيم، ومن هذا الثواب الاستقرار مع الشيخ في أعلى عليين بجوار سيد المرسلين بلا حساب ولا

(١) سورة المائدة: الآية ٧٧.

عذاب، ومنه مغفرة الذنوب وأداء التبعات[1]، وغير ذلك. كما أنّ من ترك شيئاً من هذه الأوراد يستحق العقاب، وبهذا يتبين أنّ هذه الأمور ليست من قبيل المباحات.

فإذا ثبت أنّ أوراد التِّجانية ليست من قبيل الواجبات، ولا من قبيل المباحات، تبين أنها من قبيل المبتدعات.

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الأوراد والأذكار وحكم هذه الأوراد عندهم:

ذهب أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنّ للمسلم أن يدعو الله بما شاء من أنواع الأدعية والأذكار[2]، سواء كانت مما ورد في الكتاب والسُّنة أم لا، لكن الأفضل أن يدعو الله ويذكره بما ورد في الكتاب والسُّنَّة. أما أن تتخذ أدعية وأوراد معينة في أوقات معينة مخصوصة، وبأعداد محددة وبشروط معلومة، وتتخذ شعاراً لطائفة من الناس ينفردون بها عن سائر المسلمين، ويعتقدون أنها واجبة أو مندوبة، ويستغنون بها عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب والسُّنَّة كما فعل التجانيون فهذا تشريع ما لم يأذن به الله، فهو بمثابة جعل الحلال حراماً والحرام حلالاً؛ لقول النبي ﷺ «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[3].

ويقر علماء الإسلام أنّ هذه الأوراد من البدع المحرمة، وأنه لا ينبغي العدول عما ورد عن المصطفى ﷺ إلى أوراد المشايخ والطرقية، قال ابن الجوزي رحمه الله: «... ثمَّ من أقبح الأشياء قولهم إنّ الصوفية ينفردون بسنن؛ لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء، والفقهاء أعرف بها، فما وجه انفراد

---

(١) «بغية المستفيد» (٢٧٥).

(٢) أعني بذلك في غير المواضع التي حدد فيها الشارع دعاءً معيناً.

(٣) رواه البخاري، «صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري» (١٣/ ٣١٧).

الصوفية بها؟ وإن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها»[1].

وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2]، بعد أن ذكر وجوهاً من الاعتداء في الدعاء، قال: «ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة، فيتخير ألفاظاً مفقَّرة، وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لهؤلاء (يعني المشايخ)، لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ، وكلّ هذا يمنع من استجابة الدعاء»[3].

---

(١) «تلبيس إبليس» (١٧٤، ١٧٥).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

(٣) «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٢٦). وقد نقل ذلك عنه أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٣١١).

خاتمة البحث

من خلال دراسة هذه الطائفة، تبين:

أنّ التجانيين إزاء هذه العقائد والأفكار ينقسمون إلى عدة أقسام، فمنهم الذين عرفوا حقيقتها ومع ذلك عملوا بها وجادلوا عنها، وهؤلاء هم المتفعون من ورائها. ومنهم الذين أخطأوا الطريق، وادعوا صلاح التجاني، وأخذوا يدافعون عن أفكاره وآرائه، وأنكروا كثيراً مما ورد عنه من عقائد وخرافات تناقض دين الإسلام، وإذا نبِّه أحدهم إلى شيء منها أنكره، وهذان القسمان من المنتسبين إلى العلم.

وهنا قسم ثالث: وهم العوام الذين لا يفرقون بين الحق والباطل، والذين انخدعوا بهؤلاء المشايخ، واعتقدوا فيهم التقى والصلاح، فأخذوا يقلدونهم من غير علم ودراية، وهم الغالبية العظمى من أتباع هذه الطريقة.

أنّ كثيراً من التجانيين الذين نشأوا في مجتمعات كانت تسيطر عليها هذه الطائفة، فتلقفوها من غير علم ولا بصيرة. وبعض من هؤلاء بعد أن بحثوا عن الحق، ودرسوا حقيقة الإسلام، عرفوا أنّ هذه الطريقة تقف على شفا جرف هار، فألقوها وراء ظهورهم غير مبالين بأهل ولا مال ولا ولد.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أنصح المثقفين وطلبة العلم من أتباع هذه الطريقة ألا يلغوا عقولهم، وأن يتفحصوا حقيقتها على ضوء الكتاب والسُّنّة، متجردين عن الهوى والشهوة والتعصب، وأن يدعوا الله مخلصين أن يبيّن لهم طريق الخير والهدى؛ ليصبحوا مشاعل نور وهداية، فيأخذوا بأيدي أتباع هذه الطريقة إلى

ما فيه خيري الدنيا والآخرة.

فمن أجل الدعاة المخلصين، ومن أجل الباحثين عن الحق من التجانيين وغيرهم، كتب هذا البحث، الذي أدعو الله -مخلصاً- أن يساهم في إلقاء شيء من الضوء على حقيقة هذه الطريقة. والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهـرس الموضوعات